المنفعة المترتبة على السّلوك في السنّة النبويّة ومضامينها التربويّة

د. عدنان مصطفى إبراهيم خطاطبة(*)

(*) أستاذ مساعد بقسم الدراسات الإسلامية، كلية الشريعة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

ملخص البحث:

هدفت الدراسة إلى بحث موقف السنّة النبوية من المنفعة المترتبة على السّلوك الإنساني، وذلك من خلال مباحثها الخمسة، حيث درس المبحث الأول منها الجانب المفاهيمي وتوصّل إلى شمولية مفهوم المنفعة في السنّة للمصالح والملذّات الظاهرة والباطنة والعاجلة والآجلة، ومقابَلة مفهوم السّلوك للعمل وشموليته للاستجابات الظاهرة والباطنة، ودرس المبحث الثاني أطر المنفعة ومقرراتها، وتوصّل إلى عمق التأصيل الشرعيّ لمطلب المنفعة وارتباطه القيمي، وتنوعِ مصادره وتقسيماته وصيغه، ودرس المبحث الثالث محددات المنفعة، وتوصّل إلى تأثرها بالمعتقد والبيئة والفروق الفردية، وبسواء السلوك وإتقانه وبالفضل الرباني، وفي سبيل التحقيق في طبيعة العلاقة بين المنفعة والسلوك وإمكان تطبيقاتها الميدانية، جاء المبحث الرابع ليدرسها دراسة تحليلية شملت جوانب المنفعة والأداء السلوكي والعلاقة النوْعيّة والكَمّية بينهما والأثرَ في تعديل السّلوك، ثمّ ختم بتفْريد المنفعة مقابل تفرْيد السّلوك بما يمهد للمبحث الخامس الذي اعتنى باستنباط المضامين التربوية التي انطوت عليها علاقة المنفعة بالسّلوك الإنساني في السنّة. ثم ختمت الدراسة بأهم النتائج والتوصيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه، وبعد:

فقد تنوعت القراءات العلمية للسنّة النبوية طوال مسيرة الفكر الإسلامي وحضارة المسلمين، تنوعاً ذا ارتباطات ثقافية وميدانية، صدرت عن رؤى واعية، واتصال وثيق بالحياة، ومعالجة شمولية واقعية، تصدّى لها حِليةُ هذه الأمة من أهل العلم والمصلحين وروّاد المعرفة، فجاءت تلك القراءات النظرية والتطبيقية، لتستغرق ميادين العقيدة والفقه، والحديث والتفسير، والتربية والفكر، والسياسية والاجتماع والتاريخ وغيرها، في مناسيب مختلفة حكمتها عوامل عدّة، فواتت بينها بِقدرٍ تنظيراً، وبقدرٍ أكبر تطبيقاً.

ومن بين تلك الميادين النظرية التطبيقية التي شملتها تلك القراءة للسنة النبوية: ميدان التربية وعلومه، الذي حظي تطبيقاً بارتضاء أكثر منه تنظيراً، ولكن مسيرته وإن لم تتوقف كلياً إلا إنّها لم تكن فاعلة بالمستوى المطلوب الذي حظيته ميادين المعرفة والحضارة الأخرى، واشتدّت فاعليته جموداً في القرون المتأخر والمعاصرة من حضارتنا الإسلامية لعوامل داخلية وخارجية شتىّ، الأمر الذي يتطلّب مزيداً من الوعي بأهمية قراءة هذه الميدان نظرياً، وبمدى حاجة الأمة إليه اجتماعياً وحضارياً، والانكباب على المعالجات الميدانية والخطوات التنفيذية المتعلقة بهذا المطلب الإسلامي، باعتباره من القوى الأصيلة الدافعة باتجاه خط الصعود لهذه الأمة ونهوضها وترشيد مسيرتها وإعادة حضورها " الرسالي الهدائي" بكل آلياته ومعطياته وتأثيرها في الساحة الذاتية وفي الساحة العالمية على حَدٍّ سواء.

وفي ظل هذا المناخ الممتدّ الذي تفرضه طبيعة الرسالة الإسلامية، جاءت هذه المحاولة، في قراءة علمية لذخائر السّنة وكنوزها، في سبيل تقديم رؤية إسلامية أصيلة في ترسيم العلاقة الطبيعية بين السّلوك الإنساني وما يترتب عليه من منافع وذلك وفقا لمنظور السّنة النبوية.

مشكلة الدراسة:

تعالج هذه الدراسة طبيعة العلاقة بين المنفعة والسّلوك الإنساني في السّنة النبوية، وذلك من خلال الأسئلة الآتية:

- ما مفهوم المنفعة والسّلوك ؟
- ما أطر المنفعة في السّنة النبوية ؟ وما محدّداتها ؟
- ما العلاقة بين المنفعة والسّلوك في السّنة النبوية ؟
- ما المضامين التربوية في طبيعة العلاقة بين المنفعة والسّلوك في السّنة النبوية ؟

أهمية الدراسة:

تظهر أهمية الدراسة من كونها تقدّم معالجة إسلامية أصيلة تتصل بالسّلوك الإنساني، من حيث ما يترتب عليه من منافع في منظور السّنة النبوية الذي يعدّ موضوعها (**السّلوك، والمنفعة**) من الأركان الأساسية في مفاهيم نظريات التربية وعلم النفس واهتماماتها؛ لتغطي بذلك مساحة مهمة من حاجات الدراسات التربوية الإسلامية الكثيرة، وذلك بتقديمها رؤية "تربوية إسلامية يمكن الإفادة منها في التطبيقات التربوية المختلفة

أهداف الدراسة:

الهدف المحوري للدراسة يتمثل في تقديم معالجة علمية للمنفعة المترتبة على السّلوك الإنساني في السّنة النبوية وإمكان الإفادة منها تربوياً وتعليمياً، الذي يمكن الوصول إليه من خلال تحقيق الأهداف الآتية:

- معرفة مفهوم كل من المنفعة والسّلوك.
- الوقوف على محددات المنفعة في السّنة النبوية.
- تحليل طبيعة العلاقة بين المنفعة والسّلوك في السّنة النبوية.

- استنباط أهم المضامين التربوية المتعلقة برؤية السّنة للمنفعة المترتبة على السّلوك.

الدراسات السابقة:

بعد الرجوع إلى المظان العلمية التي قد تكشف عن الدراسات البحثية ذات الصلة بموضوع الدراسة، لم يقف الباحث على دراسة علمية تعالج موضوع دراسته وأهدافها.

منهج الدراسة:

في سبيل معالجة مشكلة الدراسة وأهدافها بما يتناسب مع طبيعتها، فإن الباحث سيعمل على تطبيق منهجية البحث العلمي المتعلقة بالاستقراء والتحليل، وذلك من خلال عملية استقراء موسعة لنصوص السّنة النبوية (**الصحيحة**).

محددات الدراسة:

تعالج الدراسة "المنفعة" المترتبة على "السّلوك الإنساني"، ضمن نطاق السّنة النبوية، حيث تركز على أهم مصدرْين فيها وهما الصحيحان، لقناعة الباحث بأنهما يشتملان على النصوص اللازمة لتغطية الرؤية الأساسية الشمولية لعلاقة المنفعة بالسّلوك.

خطة الدراسة:

تشتمل خطة الدراسة على مقدمة تتضمن التعريف بأطر الدراسة، ومباحث خمسة تعالج مفهومي المنفعة والسّلوك، وأطر المنفعة ومحدداتها، وطبيعة العلاقة بين المنفعة والسّلوك، وما تنطوي عليه من مضامين تربوية، وخاتمة الدراسة.

المبحث الأول
مدخل مفاهيمي: مفهوم "المنفعة" و"السّلوك" و"السُّنة"

يتكون عنوان الدراسة من مجموعٍ مركبٍ من الألفاظ، وتقتضي المنهجية العلمية في تعريف مثل هذه الصيغة تعريف مفرداتها، ولذلك سيتم في هذا الجزء من الدراسة تقديم تعريفات علمية بكل مفردة من مفردات هذه الدراسة بما تقتضيه طبيعة الدراسة وموقعها فيها.

أولاً – تعريف المنفعة:

– **المنفعة لغةً**: نفـع: النون والفاء والعين كلمة تدلّ على خلاف الضّر[١]، ونفعـه نفعـاً ومنفعة: أفاده وأوصل إليه خيرا[٢]. والمنفعة: كل ما ينتفع به[٣]، والجمع: منافع[٤]. والنّفع: الخير وما يتوصل به الإنسان إلى مطلوبه[٥].

– **المنفعة اصطلاحاً**: التعْريفات العلمية التي تعنى بمصطلح "المنفعة"، تكاد تكون محددةً جداً، وخاصة عند الباحثين في مجال التربية والسلوك، وبعد قراءة موسعة، وقف الباحث على تعريف للمنفعة من ميدان البحث الفلسفي الأخلاقي، ينص على أن المنفعة هي: "الحصول على اللّذات والابتعاد عن الآلام"[٦].

وبالنسبة لاستخدام كلمة "المنفعة" في النصوص الشرعية، فقد ورد

---

(١) ابن فارس، أحمد، معجم المقاييس اللّغوية، تحقيق: شهاب الدين أبو عَمْرو، دار الفكر، بيروت، ط١٤١٨هـ– ١٩٩٨م، ص١٠٤٢.

(٢) ابن منظور، محمد، لسان العرب، تحقيق: عامر أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ط)، جـ٥، ص٣٢٧.

(٣) المصدر السابق.

(٤) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار الدعوة، استانبول (د.ط)، جـ٢، ص٩٤٢.

(٥) المرجع السابق.

(٦) السيد، عزمي طه، الفلسفة: مدخل حديث، دار المناهج، عمّان، طـ١، ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٣م، ص٢٢٤.

أصل الكلمة ومشتقاتها في القرآن الكريم خمسين مرّة[١]، أقربها صيغة "منافع" والتي هي جمع منفعة، وأمّا في السنة النبوية فقد وردت باشتقاقها المختلفة في العشرات من الأحاديث، وبصيغتها المعنية: "المنفعة" في عدد محدود جداً. ومن أجل الوقوف على معناها كما يظهر من السياق، لا بد من تقديم نماذج من تلك الآيات والأحاديث، ومنها:

- قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢١٩]. يقول ابن كثير: "أما إثمهما فهو في الدين، وأما المنافع فدنيوية"[٢]، ويقول ابن عاشور:

والمنافع: جمع منفعة، وهي اسم على وزن مفعلة، وأصله يحتمل أن يكون مصدراً ميمياً قصد منه قوة النفع.... ويحتمل أن يكون أسم مكان دالاً على كثرة ما فيه...، أي: يكثر فيهما النفع.... فالمنفعة أبلغ من النفع"[٣].

- وفي قوله تعالى - آيات الحج- ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ [الحج: ٢٨]، يقول ابن عاشور: وتنكير منافع للتعظيم المراد منه الكثرة، وهي: المصالح الدينية والدنيوية؛ لأن في مجمع الحج فوائد جمّة للناس: لأفْرَادهم من الثواب والمغفرة لكل حاج، ولمجتمعهم؛ لأن في الاجتماع صلاحاً في الدنيا بالتعارف والتعامل"[٤]. وقال القرطبي **لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ** "أي ليحضروا منافع لهم، أي: ما يرضي الله تعالى من أمر الدنيا والآخرة"[٥].

---

(١) عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ص٨٠٧.

(٢) ابن كثير، إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، دار الخير، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ، ج١، ص٢٧٤.

(٣) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس (دط)، جـ١، ص٣٤٤.

(٤) المرجع السابق، جـ٧، ص٢٤٦.

(٥) القرطبي، محمد، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ، ج٦، ص٢٨-٢٩.

– قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]، يقول ابن عاشور: " والنفع الحاصل من الذكرى هو رسوخ العلم بإعادة التذكير لما سمعوه، واستفادة علم جديد فيما لم يسمعوه أو غفلوا عنه "(١).

وقال الراغب: "النَّفع: ما يُستعان به في الوصول إلى الخيرات، وما يتوصل به إلى الخير فهو خير، فالنفع: خير، وضدّه: الضر، قال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [الفرقان:٣]، وقال تعالى ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ﴾ [الممتحنة:٣](٢).

– ومن السنة النبوية، قول النبي ﷺ لبلال رضي الله عنه: **(يا بلال حدّثني بأرجى عمل عملته، عندك، في الإسلام منفعة...، قال: ما عملت عملا في الإسلام أرجي عندي منفعة من أني لا أتطهر طُهُوراً تاماً في ساعة من ليل ولا نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصليّ(٣)، وقوله ﷺ: (إنّ ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، وضربت في البحر مرتين؛ ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد)(٤)، وقوله ﷺ: (.. فمن ولي منكم أمراً يضّر فيه أحداً أو ينفعه فليقبل من محسنهم ويتجاوز من مسيئهم)(٥)، وقوله ﷺ لمّا ذكر عنده عمّة أبو طالب، قال: (لعلّه تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضَحْضاح من النار...)(٦).**

ومن مجموع ما تقدم يقترح الباحث التعريف الآتي:

المنفعة: جميع المصالح واللّذات المادية والمعنوية المشروعة التي يسعى كل من الفرد أو الجماعة إلى تحصيلها عاجلاً أم آجلاً.

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، جـ١١، ص٢٤.
(٢) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان، دار القلم، دمشق، ط٣،١٤٢٣هـ– ٢٠٠٢م، ص٨١٩.
(٣) مسلم، الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل بلال، ح رقم (٤٤٩٧).
(٤) أحمد، المسند،ح رقم (٧٠٢٥).
(٥) البخاري، الصحيح، كتاب المناقب، باب قول النبي اقبلوا من محسنهم، ح رقم (٣٥١٦).
(٦) المصدر السابق، كتاب المناقب، باب قصة أبي طالب، ح رقم (٣٥٩٦).

فالمنفعة قد تكون تحصيل فائدة إيجابية، أي: "مرغوب فيه" من مصالح ولذات، كالمنافع في آية الحج، وحديث بلال رضي الله عنه المتقدم، وقد تكون فائدة سلبية، أي: دفع "غير مرغوب به" أو إزالته أو الوقاية منه، من مضار وآلام، كالتخفيف عن أبي طالب في حديث الشّفاعة المتقدم.

ثانياً – تعريف السلوك

السلوك لغةً:

سلك: السين واللام والكاف، أصل يدلّ على نفوذ شيء. يقال: سلكت الطريق أسلكه وسلكت الشيء في الشيء، أنفذته[١]، والسلوك مصدر سلك، والمسلك: الطريق[٢]. وقال الراغب: " السلوك: النفاذ في الطريق، يقال سلكت الطريق، قال تعالى: ﴿لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح:٢٠][٣].

السّلوك اصطلاحاً:

هناك تباين واضح بين النظريات النفسية والسلوكية في تعريف السلوك، ترجع لعوامل مختلفة، من أهمها: الرؤية الفلسفية للطبيعة الإنْسانية، والرؤية التقويمية لإمكان قياس السلوك الإنساني وتعديله وعلاجه.

وما يعني هذه الدراسة: الأخذ بالتعريفات الأكثر شمولية واتفاقاً مع التوجه الإسلامي لفهم الإنسان وطبيعته وسلوكه. ومن بين هذه التعريفات الآتي:

– السّلوك: "كل الأفعال والتصرفات التي تصدر عن الفَرْد في مواقف الحياة المختلفة"[٤].

---

(١) ابن فارس، معجم المقاييس اللغوية، ص٤٩٠.
(٢) ابن منظور لسان العرب، جـ٦، ص٥٣.
(٣) الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، ص٤٢١.
(٤) علي، علي أحمد، أساسيان سلوك الإنسان، مكتبة عين شمس، القاهرة(د.ط)، ص٢٦.

- السّلوك: "كل الأفعال والنشاطات التي تصدر عن الفرد، ظاهرة كانت أم غير ظاهرة"[١].
- السّلوك: "الأنشطة والتفاعلات التي يقوم بها الفرد لتحقيق غايات معينة"[٢].
- السّلوك: "الاستجابة الكلية التي يبديها الكائن الحي إزاء أي موقف يواجهه"[٣].

وكما يلحظ فإن هذه التعريفات تركز في فَهْمها للسلوك على صورة الاستجابة الكلية التي تصدر عن الإنسان إزاء مواقف حياتية مختلفة.

نظرة السنة النبوية إلى "السلوك الإنساني"

بما أن هذه الدراسة تُعنى ببحث المنفعة المترتبة على السلوك الإنساني في السنة النبوية، وبما أن "السلوك" جزء أساس فيها، فلا بد من الوقوف على حيثياته في ميدان البحث المخصص – السنة –؛ ليقع التوافق والتوّحّد في المعالجة البحثية المعنية بتحليل موقف السنة من المنفعة المترتبة عليه.

لا يجد الباحث في نصوص السنة النبوية – ولا كذلك القرآن الكريم[٤]– ورود كلمة "السلوك"، لا بلفظها المحدد، ولا بمعناها الاصطلاحي المعين، ولكن يجد لها اشتقاقات يكاد أكثرها يتكرر في لفظة "سلك"، وبمفهوم لا يقترب من المفاهيم الحديثة المستعملة للسلوك.

ومن أشهر هذه النُصوص التي حملت لفظة "سلك": قوله ﷺ: "ومن

---

(١) الخطيب، جمال، تعديل السلوك الإنساني، مكتبة الفلاح، الكويت ط١،١٤٢٣هـ– ٢٠٠٣م، ص١٧.

(٢) سليمان، حسين حسن، السلوك الإنساني والبيئة الاجتماعية، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ– ٢٠٠٥م، ص٤٧.

(٣) العطاس، عبد الله بن أحمد، مفهوم السلوك الخُلقي، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية، مكة، ط١، ١٤٢٥هـ– ٢٠٠٥م، ص٢٩.

(٤) ورد في القرآن لفظ(سلك) ومشتقاته – دون لفظ السلوك – اثنتي عشرة مرة، منها: سلك، لتسلكو، فاسلكي...، وأغلبها بمعنى: النفاذ في الطريق. عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص٤٣٦، والراغب، مفردات ألفاظ القرآن، ص٤٢١.

سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له به طريقا إلى الجنة"[١]، وقوله ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: "والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط **سالكاً** فجّاً إلا **سَلَك** فجّاً غير فجّك"[٢]، وقوله ﷺ: " وو **سَلَكَ** الناس وادياً أو شِعباً لسَلكت وادي الأنْصار"[٣].

وكما هو ملاحظ فإنّ معنى "سَلَك" كما في السياق، تشير إلى:المشي في الطريق[٤]، فهو يتعلق بوصف النشاط الحركي للإنسان تحديداً.

أما السلوك بمعناه الاصطلاحي العام، فيعبّر عنه في السنّة النبوية – كذلك في القرآن الكريم– "بمصطلح "العمل"، ويقصد به جميع الأفعال أو الاستجابات أو ردود الفعل التي تصدر عن الإنسان، سواء أكانت ظاهرية أم باطنية، وسواء أكانت الأعمال صالحة أم غير صالحة"[٥]. قال الراغب: " العمل: كل فعل يكون بقصد...، والعمل يُسْتعمل في الأعمال الصالحة والسيئة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [النساء:١٢٤]، وقال تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء:١٢٣]"[٦].

وفي السنة، قوله ﷺ: **(إنما الأعمال بالنيات)**[٧]، وقال البخاري مُبَوِّباً: "باب ما جاء إن الأعمال بالنية والحِسبةِ...، فدخل الإيمان والوضوء والصلاة والزكاة والصوم والأحكام **(المعاملات)**"[٨]. **وقوله** ﷺ: **(خذوا من العمل ما**

---

(١) مسلم، الصحيح، كتاب الذكر، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، ح رقم (٤٨٦٧).
(٢) البخاري، الصحيح، كتاب الأدب، باب التبسم والضحك، ح رقم (٥٦٢١).
(٣) المصدر السابق، كتاب التمنّي، باب ما يجوز من اللّو، ح رقم (٦٧٠٤).
(٤) النووي، شرح صحيح مسلم، تحقيق: خليل مأمون، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ–٢٠٠٤، جـ١٧، ص٢١.
(٥) التل، شادية، علم النفس التربوي في الإسلام، دار النفائس، عمان، ط١، ١٤٢٥هـ–٢٠٠٥م، ص٥٨.
(٦) الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، ص٥٨٧.
(٧) البخاري، الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، ح رقم (١).
(٨) المصدر السابق، كتاب الإيمان، باب ما جاء إن الأعمال بالنيات.

تطيقون)[1]. وقوله ﷺ: **(إن الرجل ليعمل بعمل أهل النار... وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة..)**[2]. ومن الأحاديث التي تتضمن وصفاً لمساحة السلوك الإنساني وحقيقته المركبة، قوله ﷺ: **(الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها: قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان)**[3]، **وهذه الشعب (الأعمال أو السلوكات)، منها: الفعلي والقولي، ومنها: الباطني والظاهري.**

وبذلك، يظهر **معنى "السلوك" في السنة**، بأنه: كل ما يصدر عن الإنسان من أعمال وأقوال، ظاهرة وباطنة. وعليه فالسلوك في السنة، قسمان:

السلوك الظاهري، ويشمل كل الأعمال والأقوال الظاهرة التي تصدر عن جوارح الإنسان.

وإما السلوك الباطني، فيشمل كل العمليات والاعتقادات والانفعالات التي تصدر عن قلب الإنسان وباطنه.

ويتلازم في السنة السلوك الظاهري والسلوك الباطني، ويمتزجان امتزاج الروح بالجسد، ويتأثر كل منهما بالآخر، كما يلحظ ذلك من قوله ﷺ: **(ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كلّه، وإذا فسدت فسد الجسد كلّه، ألا وهي القلب)**[4]، **" فلا يتحقق القلب بالإيمان إلا وتنبعث الجوارح في أعمال الإسلام"**[5].

وهذه المقدّمة في فهم السلوك، مهمة بالنسبة لهذه الدراسة من جهتيْن: **الجهة الأولى**: أنه بها تتوجه عملية استقراء جوانب المنفعة وعلاقاتها بالسلوك، الوجهة الصحيحة الشمولية، التي لا تقتصر على مظهر واحد من مظاهر السلوك مثلاً دون غيره.

---

(١) المصدر السابق، كتاب الصوم، باب صوم شعبان، ح رقم (١٨٣٤).
(٢) المصدر السابق، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريّته، ح رقم (٣٠٨٥).
(٣) مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، ح رقم (٥١).
(٤) البخاري، الصحيح، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، ح رقم (٥٠).
(٥) ابن رجب، عبد الرحمن، جامع العلوم والحكم، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م، (دط)، ص٢٨.

والثانية: أنها تظهر جانباً مهما تعنى به هذه الدراسة، وهو جانب المقارنة بالفكر الغربي، حيث يؤكد هذا المفهوم الشمولي للسلوك الإنساني في السنة النبوية، تمايزه عن نظريات علم النفس في نظرتها وتعريفها للسلوك واختلافاتها الكبيرة، "فبعض نظريات علم النفس التقليدية **(كنظرية التحليل النفسي لفرويد)**[(١)] لا تولي اهتماماً كافياً بالسلوك الظاهر؛ لأنها تنظر إليه بوصفه مجرّد عرض لصراعات أو اضطرابات نفسية داخلية، بينما ينادي تعديل السلوك [(٢)] بدراسة السلوك الظاهر بوصفه ظاهرة قائمة بحدِّ ذاتها"[(٣)]، يمكن ملاحظتها وقياسها.

ثالثاً – تعريف السنة:

السنة النبوية الشريفة، هي المصدر الثاني – مع القرآن الكريم– من مصادر التشريع الإسلامي، وهي في حقيقتها وحي الله تعالى إلى رسوله ﷺ، ويفهمها العلماء اصطلاحاً على أنها ما ثبت عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة.

وبناء على ما تقدّم، فإن خلاصة هذا المدخل المفاهيمي: أنه يضع هذه الدراسة في إطار بحث "المنفعة" – بحسب التعريف الذي تمّ تحديده– التي تقررها السنة النبوية في سياقاتها المختلفة، إزاء سلوكٍ معين معتبرٍ لديْها.

---

(١) للوقوف على دراسة تحليلية نقدية لنظرية فرويد، ينظر: بيلي، برسيفال، نقد نظرية التحليل النفسي، ترجمة: محمد هلال، دار المناهج، عمان، ط١، ١٤٢٠هـ–١٩٩٩م، وخوجلي، هشام عثمان، نظريات النمو الإنساني: دراسة نقدية من منظور إسلامي، الدار السعودية، جدّة، ط١، ١٤٢٢هـ–٢٠٠١م، ص٣٩–٥٩.

(٢) للتوسع في النظرة النقدية للمدرسة السلوكية، ينظر: صالح، قاسم حسين، نظريات معاصرة في علم النفس، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ط١، ١٤١٩هـ–١٩٩٨م، ص١٤٥–١٧٤.

(٣) الخطيب، جمال، تعديل السلوك الإنساني، ص١٧.

المبحث الثاني
أطُر المنفعة ومقرراتها في السنّة النبويّة

يجد الباحث في السنة النبوية مجموعة من الأطر والمقررات التي تكشف عن جوانب مهمة في مفهوم المنفعة وموقعها وطبيعتها، والتي يمكن رصدها من خلال عرض الأمور الآتية:

أولاً – التأصيل الشّرعي لمطلب المنفعة:

تنظر السنة النبوية إلى "مبدأ تحصيل المنفعة" على أنه مقصد شرعي معتبر، ومطلب إنساني مراد، لا يمكن بحال أن تنفك عنه النفس الإنسانية لما جبلت عليه من حب تحصيل ما ينفعها ودفع ما يضرّها.

وقد جاء ذلك مقرراً في أحاديث نبوية عديدة، منها قول النبي ﷺ مخاطباً الشخصية المسلمة: **(احرص على ما ينفعك)**[(١)]، وقوله ﷺ **(ولكل أمريء ما نوى)**[(٢)]، **حيث قررت هذه الجملة " أن العامل لا يحصل له إلا ما نواه"**[(٣)]، **وقوله ﷺ مخاطباً سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه– وهو خطاب لكل مؤمن عامل– : (إنّك لن تُخَلَّفَ فتعملَ عملاً صالحاً الا ازددت به درجةً ورفعة)**[(٤)]، **وقوله ﷺ (وإن همّ بها (فعل الحسنة) فعملها كتبها الله عز وجل عنده عَشرَ حسنات إلى سبعمائة ضعف..)**[(٥)].

وكما يلاحظ، فإن جملة هذه الأحاديث تؤكد أن السنة النبوية تدفع باتجاه تحصيل المنفعة وملاحقة مظانها، وضبط العوامل الموجهة لها وفعل كل ما من شأنه أن يؤدي إلى الظفر بها – مما هو معتبر شرعاً. بل وأكثر من ذلك تقدم

---

(١) مسلم، الصحيح، كتاب القدر، باب الأمر بالقوة، ح رقم (٤٨١٦).
(٢) البخاري، الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، ح رقم (١).
(٣) ابن حجر لعسقلاني، أحمد، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق ابن باز، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ–١٩٩٣٥م، جـ١، ص٢١.
(٤) البخاري، الصحيح، كتاب الجنائز، باب رثاء النبي. حديث سعد بن خوله، ح رقم (١٢١٣).
(٥) المصدر السابق، كتاب الرقاق، باب من هَمَّ بحسنة، ح رقم (٦٠١٠).

السنة أصولاً تقرر من خلالها أن المنفعة شأن من شؤون العناية الربانية، حيث كشفت عن تفصيل الموقف الإلهي الإيجابي المحفز باتجاه اكتناز الإنسان لما أمكنه من المنافع الحسنة.

ثانياً – تعْبيرات المنفعة وصِيَغها:

يتعلق هذا الأمر بمحاولة تحديد الأنماط اللفظية التي استخدمتها السنة النبوية في التعبير عن المنفعة، وشكل الصيغة التي وردت بها.

فبالنسْبة للتعبيرات، يمكن بالنظر لما جاء في الأحاديث النبوية أن تقسم إلى قسْمين:

الأول: التعبيرات الأساسية، ويقصد بها استخدام لفظ المنفعة ومشتقاته.

والثاني: التعْبيرات الثانوية، ويراد بها الألفاظ ذات الدلالة المشتركة أو المساوية لدلالة لفظ المنفعة والمعبّرة عنها.

ومن أمثلة التعبيرات الأساسية: قوله ﷺ في حديث بلال رضي الله عنه: **(حدثني بأرجى عملٍ عملته، عندك، في الإسلام منفعةً)**[1]، وقوله في سؤال عائشة رضي الله عنها عن ابن جُدْعان أنه" كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين، فهل ذاك نافعه؟ قال: "لا ينفعه"[2]، وحديث أبي برزة رضي الله عنه قال، قلت: يا رسول الله، دلّني على عمل أنتفع به، قال: **(نحِّ الأذى عن طريق المسلمين)**[3]. وكما يلحظ فهذه التعبيرات تضمنت لفظ "المنفعة" تحديداً وبعض مشتقاته **(ينفع، أنتفع)**.

ومن أمثلة التعبيرات الثانوية: لفظ "أجر"، و "صدقة"، و "حسنة، و"مغنم" و "الخيْر" وغيرها، كما في قولهﷺ: **(الخيل معقود في نواصيها**

---

(١) مسلم، الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل بلال، ح رقم (٤٤٩٧).

(٢) المصدر السابق، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل، ح رقم (٣١٥).

(٣) أحمد، المسند، ح رقم (١٨٩٥٥)،قال شعيب الأرنؤوط محقق المسند(٤\٤٢٠): إسناده حسن.

الخير الأجر والمغنم إلى يوم القيامة)[١]، وقوله ﷺ **(وأمر بمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة...)**[٢]، **وقوله ﷺ (أن الله كتب الحسنات)**[٣].

أما بالنسْبة للصيغ التي وردت بها المنفعة وتعبيراتها المختلفة، فيمكن تصنيفها إلى قوائم متقابلة، بحيث تشمل الآتي:

- صيغ مفردة ومركبّة، فبعض المنافع وردت في السنة مفردة، وبعضها وردت مركبة من عدد من المنافع، كما في قوله ﷺ- في المفردة- **(الصلاة نور)**[٤]، **وقوله ﷺ (وكل تكبيرة صدقة)**[٥]. **وفي المركَّبة، قوله ﷺ : (من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مره كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يُمسي، ولم يأتِ أحدٌ بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه)**[٦].
- **وصيغ محددة مقابل صيغ جامعة، فالمحددة كما في قوله ﷺ: (من قال سبحان الله العظيم وبحمده، غرست له نخلة في الجنة)**[٧]، **والجامعة كما في قوله ﷺ: (من صلى البَرْدَين (العصر والفجر) دخل الجنة)**[٨].
- **وصيغ قاصرة (غير متعدية) مقابل صيغ متعدّية، فالقاصر، كما في قوله ﷺ : (من بنى مسجداً لله بنى الله له في الجنة مثله)**[٩]، **والمتعدية، كما في**

---

(١) البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد، باب الخيل معقود في نواصيها الخير، ح رقم (٢٦٣٨).
(٢) مسلم، الصحيح، كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة الضحى، ح رقم (١١٨١).
(٣) المصدر السابق، كتاب الرقاق، باب من هَمَّ بحسنة، ح رقم (٦٠١٠).
(٤) المصدر السابق، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، ح رقم (٣٢٨).
(٥) المصدر السابق، كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة الضحى، ح رقم (١١٨١).
(٦) البخاري، الصحيح، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس، ح رقم (٣٠٥٠).
(٧) الترمذي، السنن، كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل التسبيح، ح رقم (٣٣٨٦).
(٨) البخاري، الصحيح، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة الفجر، ح رقم (٥٤٠).
(٩) مسلم، الصحيح، كتاب المساجد، باب فضل بناء المساجد، ح رقم (٧٢٨).

قوله ﷺ: (ما من ميت تصلي عليه أمّة من المسلمين يبلغون مائه – كلهم يشفعون له– إلا شفعوا فيه)[١].

ثالثاً – تقسيمات المنفعة:

بالنظر لما ورد في السنة النبوية من أحاديث تتعلق بالمنفعة، فإنه يمكن تقسيمها إلى عدة تقسيمات وذلك باعتبارات مختلفة لتشمل المجموعات الآتية:

– **التقسيم الأول**: المنفعة العاجلة والمنفعة الآجلة؛ ويقصد بالمنفعة العاجلة التي تقع –زماناً– في حدود الدنيا، ومن أمثلتها، قوله ﷺ: **(يعمل "المسلم" بيده فينفع نفسه)**[٢]. وقوله ﷺ: **(اللهم أعطِ منفقاً خلفاً)**[٣]**، وأما المنفعة الآجلة التي تقع خارج حدود الزمان الدنيوي، أي في الحياة الآخرة، كما في قوله ﷺ: (من جهّز جيش العُسْرة فله الجنّة)**[٤]**، ويشمل ذلك كل الأحاديث التي تتضمن منفعة "كتابة الحسنات". ومن الأمثلة الجامعة للمنفعتين (العاجلة والآجلة)، قوله ﷺ في المجاهد: (أو يرجعه سالما مع أجْرٍ أ و غنيمةٍ)**[٥].

– **التقسيم الثاني**: المنفعة الظاهرة **(المادية)** والمنفعة الباطنة **(المعنوية)**، ومثال الظاهرة **(المادية)**: قوله ﷺ، حينما وجد شاةً ميتة: **(هلّا انتفعتم بجلدها)**[٦]، وقول ﷺ حينما سأله أصحابه عن رَعْيه الأغنام، قال: **(نعم، كنت أرعاها على قراريط "قليل من المال" لأهل مكة)**[٧]، ومثال الباطنة **(المعنوية)**، قوله ﷺ: **(ذاق طعم الإيمان: من رضي بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدّ رسولاً)**[٨].

---

(١) المصدر السابق، كتاب الجنائز، باب من صلّى عليه مائه، ح رقم (١٥٧٦).
(٢) البخاري، الصحيح، كتاب الزكاة، باب على كل مسلم صدقة، ح رقم (١٣٥٣).
(٣) المصدر السابق، كتاب الزكاة، باب قول الله فأما من أعطى واتقى، ح رقم (١٣٥١).
(٤) المصدر السابق، كتاب الوصايا، باب إذا وقف أرضاً أو بئراً.
(٥) المصدر السابق، كتاب الإيمان، باب الجهاد من الإيمان، ح رقم (٣٥).
(٦) المصدر السابق، كتاب الزكاة، باب الصدقة على موالي أزواج النبي، ح رقم (١٣٩٧).
(٧) المصدر السابق، كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط، ح رقم (٢١٠٢).
(٨) مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب الدليل على أنّ مَنْ رضي بالله ربًّا ...، ح رقم (٤٩).

ومن الأمثلة الجامعة للمنفعتين معاً: قوله: **(إذا أحبّ أحدكم أخاه في الله، فليبين له، فإنه خير في الإلفة، وأبقى في المودّة)**[١].

– **التقسيم الثالث**: المنفعة الإيجابية **(تحصيل مرغوب به)** والمنفعة السلبية **(إزالة غير مرغوب به)**، فالمنفعة الإيجابية تشمل تحصيل كل مرغوب ومحبوب ومطلوب للنفس كما في أمثلة التقسيمين المتقدمين، كدخول الجنة، والمال، وحلاوة الإيمان وغيرها كثير، وأما المنفعة السلبية، فيقصد بها إزالة الأذى ودفع الضر وكل ما هو غير مرغوب عند النفس الإنسانية، وهذا القسم من المنفعة معتبر شرعاً، وقد جاءت به السنة في مواضع كثيرة، كتلك الأحاديث التي تضمنت مغفرة الذنوب **(فالذنوب أذى، والنفس تطلب إزالته)**، كما في قول ﷺ **(من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة، حطّت عنه خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر)**[٢].

ومن الأمثلة الجامعة للمنفعتيْن **(تحصيل مرغوب ودفع غير مرغوب)**، قوله ﷺ: **(ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات، ...، قال: إسباغ الوضوء على المكارة...)**[٣].

رابعاً – مصادر المنفعة:

بحسب التصوّر الذي تقدّمه السنة النبوية، فإنه يمكن تقسيم المصادر المقررة للمنافع والمزودة بها إلى مصدرين رئيسين، هما:

الأول: المصدر الرباني، فالله تعالى هو الربّ المالك لكل شيء، وهو المصدر لكل منفعة تصل إلى الخلق، سواء بطريق مباشر أم بطريق غير مباشر، وعليه فالمصدر الثاني يعدّ تبعاً للمصدر الأول. قال تعالى ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

---

(١) السيوطي، الجامع الكبير، ح رقم(١١٢٧)، حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، ح رقم(١٦)

(٢) البخاري، الصحيح، كتاب الدعوات، باب فضل التسْبيح، ح رقم (٥٩٢٦).

(٣) مسلم، الصحيح، كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء، ح رقم (٣٦٩).

وقد أشارت السنة النبوية إلى المصدر الرباني للمنفعة، وخاصة فيما يتعلق بالمنافع الأخروية، كما في قولهﷺ (**انتدب "تكفّل" الله عز وجل لمن خرج في سبيله أن أرجعه بما نال من أجرٍ أو غنيمةٍ أو أدخلَه الجنّة**)[١]. وقوله ﷺ مقارناً عملنا وأجرنا بعمل أهل الكتاب: (**ثمّ أوتينا القرآن فعملنا إلى غروب الشمس فأعطينا قيراطين قيراطين، فقال أهل الكتابيْن: أي ربنا أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين، وأعطيتنا قيراطا قيراطا...، قال: فهو فضلي أوتيه من أشاء**)[٢].

الثاني: المصدر البشري والكوني، وهو يتعلق بكل ما يمكن أن يقدّمه الإنسان أو الكون بمختلف مرافقه، وهو مصدر يرجع في أصله إلى المصدر الأول.

ومن أمثلة ذلك: ما جاء في السنة من أنّ النبي ﷺ احتجم وأعطى الحجّام أجره[٣]، فهذا مصدر بشري. وقوله ﷺ: (**المسلمون شركاء في ثلاث: الماء والكلأ والنار...**)[٤]، **فهذا مصدر طبيعي.**

خامساً – قِيَمِيّة المنفعة:

تنظر السنة النبوية إلى المنفعة على أنها قيمة من قيم الإسلام والحياة، لا بدّ أن تُصان وأن تحترم، وأنْ توضع في مكانها الصحيح في سلّم القيم، خاصّة إذا ما وقع تعارض أو تنافس بين أشكال المنفعة بحيث يطبق عليها المنظور الإيماني الشمولي.

ويمكن أن تظهر قِيَمية المنفعة ومراعاتها في السنة النبوية من خلال الجوانب الآتية:

– **الوعد بإنجاز المنفعة**، فقد أكدت السنة أن المنفعة التي وعد عليها الشارع إزاء سلوك معين، لا بد من إنجازها وحصول من يُحقق مطالبها عليها، وذلك

---

(١) المصدر السابق، كتاب الإيمان، باب الجهاد ومن الإيمان، ح رقم (٣٥).
(٢) المصدر السابق، كتاب الإجارة، باب الإجارة إلى نصف النهار، ح رقم (٢١٠٧).
(٣) المصدر السابق، كتاب الإجارة، باب خراج الحجّام، ح رقم (٢١١٧).
(٤) أحمد، المسند، ح رقم (٢٢٠٠٤). قال شعيب الأرنؤوط محقق المسند (٥٠/ ٢٩٠): إسناده صحيح.

كما في قوله ﷺ: **(مَنْ وعده الله على عملٍ ثواباً، فهو منجزه له)**[١]، وقوله ﷺ: **(أعطوا الأجير أجره)**[٢]. فهى دعوة أيضاً لوجوب الوفاء بالمنفعة المادية وإنجازها.

- **حماية المنفعة**، حيث دعت السنة النبوية إلى ضرورة حماية المنافع – وبخاصَّة الماديّة – التي يستحقها الناس وصيانتها واعتبارها بمثابة الأمانة والوديعة التي يُسْأل عنها صاحبها. ونلمس هذا التوجه القِيمي الوقائي، في قول النبي ﷺ: **(ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة... ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره)**[٣]. وهو نصٌّ يحمل في طياته أقصى درجات الضمان لأن تصل المنفعة إلى مستحقيها.
- **المنفعة الإيمانية مقدمة على المنفعة المادية**، وهذا التقديم هو الأصل في حال تعارضهما، وإلا فإن السنة النبوية تقرّ المنفعتين وتدعو للأخذ بهما، لكن هذا استثناء يشير إلى قيمية المنفعة من المنظور النبوي، وأنه لا يجوز أن يضحى بالمنافع العليا على حساب المنافع الدنيا. ويظهر هذا جلياً كما في قول أحد الصحابة: **(نهانا رسول الله ﷺ عن أمرٍ كان لنا نافعاً، وطواعية الله ورسوله أنفع لنا، نهانا أن نحاقل[٤] بالأرض فنكريها على الثلث والربع والطعام المسمّى، وأمر ربّ الأرض أن يزرعها)**[٥]، وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ: لم ينه عن الكِراءَ[٦] ولكن قال: **(أن يمنح أحدكم أخاه خير له من أن يأخذ عليه خرْجاً معلوما)**[٧].

---

(١) الطبراني، المعجم الأوسط،ح رقم (٨٧٥٣) قال الألباني في السلسلة الصحيحة: حسن، ح رقم (٦٣٢٤).
(٢) ابن ماجه، السنن، كتاب الأحكام، باب أجر الأجراء، ح رقم (٢٤٣٤)، صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب(٢\١٨٣).
(٣) البخاري، الصحيح، كتاب البيوع، باب إثم من باع حرّاً، ح رقم (٢٤٣٤).
(٤) المحاقلة: بيع الطعام في سنبله بالقمح.
(٥) مسلم، الصحيح، كتاب البيوع، باب كراء الأرض، ح رقم (٢٨٨٥).
(٦) الكراء: التأجير.
(٧) البخاري، الصحيح، كتاب المزارعة، باب إذا لم يشترط في المزارعة، ح رقم (٢١٦٢).

المبحث الثالث
محدّدات المنفعة

تنطوي السنّة النبوية على رؤية واقعية، ومتماسكة الجوانب، فيما يتعلق بموضوع المنفعة، ومن مرتكزات هذه الرؤية الدليل إلى "محددات المنفعة".

والمقصود بمحددات المنفعة: العوامل المعتبرة – من وجهة نظر السنة – ذات الأثر في المنفعة، من حيث تحديد جنسها أو مستواها أو مداها أو قَدْرها أو غير ذلك من متعلقات أوصافها.

وبعد النظر والتأمل في السنة النبوية، يمكن تعيين "محددات المنفعة" وتصنيفها لتنتظم الآتي:

أولاً – صِحّة المعتقد:

وهذا محدد أساسي وأوَّلي بالنسْبة للمنفعة. فمن اتباع السنّة النبوية لا يستقيم اجتماع المنفعة – وتعييناً المنفعة الأخروية – وانحراف المعتقد، إذ لا بد للسالك (**الشخص**) حتى يحصّل المنفعة مقابل ما يقدمه من سلوك أن يَكون معتقده معتقداً إسلامياً سليماً.

وقد جاءت أسس هذا المحدد للمنفعة واضحة في السنّة النبوية، كما في حديث البراء رضي الله عنه قال: أتى النبيَّ رجلٌ مُقَنَّعٌ بالحديد، فقال: يا رسول الله أُقاتِل وأسْلمُ، قال: (**أسلِم ثمّ قاتِل**)، فأسلم ثم قاتل فقُتل، فقال رسول الله ﷺ: (**عَمِلَ قليلاً وأُجِرَ كثيراً**)[1]. فهذا نص واضح في اشتراط صحة المعتقد أولاً وقبل السلوك المرجو نفعه وثوابه، وقد ظفر "صاحب السلوك" فعلاً بذلك، في حين أن هناك نصاً آخر يقدّم الوجه الآخر، حيث فلتت فيه المنفعة من بين يدي صاحب السلوك لتخلف شرط العقيدة، فعن عبد الله بن عمرو، قال: إن العاص بن وائل نذر في الجاهلية أن ينحر مئة بدنة، وإن هشام بن العاص نحر

(١) البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد، باب عمل صالح قبل القتال، ح رقم (٢٥٩٧).

حصته خمسين بدنة، وإن عَمْراً سأل النبي ﷺ عن ذلك؟ فقال: "**أمّا أبوك، فلو كان أقَرّ بالتوحيد، فصمت وتصدّقت عنه؛ نَفَعَهُ ذلك**"[(١)]. وعن عائشة رضي الله عنها: قالت قلت يا رسول الله، ابنُ جُدعان، كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين، فهل ذاك نافعه، قال: **(لا ينفعه، إنه لم يقل يوما: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين)**[(٢)]. قال النووي: "معنى هذا الحدِيث: أَنَّ ما كان يفعلهُ مِن الصِّلَة والإطعام ووجوه المكارم لا ينفعه فِي الآخرَة؛ لكونه كافراً، وَهو مَعْنى قَوله صلَّى اللَّه عليه وسَلَّمَ: **(لَمْ يَقُلْ رَبِّ اِغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْم الدِّين)** أَي لم يكن مصدِّقًا بالبعث، ومن لم يصَدِّق به كافِر، ولا ينْفَعه عمل. قَالَ الْقَاضِي عِيَاض: وَقد اِنْعَقد الإِجماع على أَنّ الكفار لا تَنْفَعهُمْ أَعمالهم، ولا يثابون عليها بنعيم ولا تخفيف عذاب"[(٣)].

وقد نبّهت السنّة النبوية جميع السالكين إلى ضرورة استكمال شرط صحّة المعتقد لأجل وقوع المنفعة، كما في قوله ﷺ **(خمس من جاء بهنّ مع إيمان دخل الجنة: من حافظ على الصلوات الخمس...)**[(٤)]. كما جاءت مراعاتها لهذه الشرط وتطبيقاته في عديد من الأحاديث النبوية التي تتضمن سلوكاتٍ مختلفة دعا إليها الشارع ورتّب عليها المنافع، من ذلك: قوله ﷺ: **(انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمانٌ بي وتصديق برسلي أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة، أو أدخله الجنة)**[(٥)].

وممّا يتضمنّه صحة المعتقد، باعتباره محدداً من محددات المنفعة، التصديق بموعود المنفعة المترتبة على السلوك، فلا بد من أن يصدق ويوقن

---

(١) أحمد، المسند، ح رقم (٦٤١٧). وصححه الألباني في السلسلة ح رقم (٦٩٤).
(٢) مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن مَنْ مات على الكفر لا ينفعه عمل، ح رقم (٣١٥).
(٣) النووي، شرح صحيح مسلم، ١/٣٥٨.
(٤) أبو داود، السنن، كتاب الصلاة، باب في المحافظة على وقت الصلوات، ح رقم (٣٦٥)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، جـ١، ح رقم (٣٦٢).
(٥) البخاري، الصحيح، كتاب الإيمان، باب الجهاد من الإيمان، ح رقم (٣٥).

صاحب السلوك بأن ما وعَدَه الله تعالى عليه من منافع معينة جرّاء قيامه بسلوكات معينة كذلك، هو أمر متحقق ونافذ بإذن الله تعالى. وهذا فيه مراعاة للجانب النفسي للشخصية التي ينبعث منها السلوك.

وقد جاء هذا التحديد في السنة النبوية في أحاديث عديدة، منها: قوله ﷺ: **(أربعون خَصْلَةً أعلاهُنَّ مَنيحَةٌ العنز، ما من عامل يعمل بخَصْلةٍ منها رجاءَ ثوابها وتصديق موعودها إلا أدخله الله بها الجنة)**[١].

ثانياً – السّلوك السّوي المقبول (إخلاص القصد وموافقة الشرع):

من محددات المنفعة التي أَكَّدتها السنة النبوية، إخلاص القصد؛ بمعنى: حتى ينال صاحبُ السلوك المنفعة المترتبة **(تحديداً الأُخْروية)** على قيامه بالسلوك لا بد من أن يخلص نيته لله تعالى، فيقصد مرضاته سبحانه ورجاء ثوابه، وإلا فَقَدَ السلوك تلك المنفعة المقررة له.

والأصل العام المقرر لهذا المحدد: قوله ﷺ: **(أنّما الأعمال بالنّيات وإنّما لكلّ امرىءٍ ما نوى)**[٢]، فقوله: **(وإنّما لكلّ امرىءٍ ما نوى)** "**فيه تحقيق لاشتراط النية والإخلاص في الأعمال**"[٣]، **كما أفاد مقتضاه" أن من نوى شيئاً يحصل له وكل ما لم ينوه لم يحصل له**"[٤].

وقد جاء مطلب هذا المحدد في مواطن عديدة تضمنت تقديم منافع مشروطة بإخلاص القصد في أداء السلوك، كما في قوله ﷺ: **(إذا أنفق الرجلُ على أهِلِه نفقةً يحتسبها فهو له صدقه)**[٥]، وقوله ﷺ: **(من بنى مسجداً يبتغي بِهِ وَجْهَ الله بنى الله له مِثْلَهُ في الجنّة)**[٦].

---

(١) المصدر السابق، كتاب الهبة، باب فضل المنيحة، ح رقم (٢٤٣٨).
(٢) المصدر السابق، كتاب بدء الوحي، ح رقم (١).
(٣) ابن حجر، فتح الباري، حـ١، ص٢١.
(٤) المصدر السابق نفسه.
(٥) البخاري، الصحيح، كتاب الإيمان، باب ما جاء إن الأعمال بالنية، ح رقم (٥٣).
(٦) المصدر السابق، كتاب الصلاة، باب من بنى مسجداً، ح رقم (٤٣١).

ويظهر تطبيق هذا الشرط في السنة النبوية في مواضع، منها: أشارت إلى إثبات المنافع أو نفيها أو اختلافها مقابل أداء السلوك ذاته من فئة إلى أخرى، تبعاً لاختلاف القصد عند تلك الفئات التي قامت بأداء السلوك الموّحد. وذلك كما في قوله ﷺ: **(فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يُصيبها أو امرأةٍ يَنْكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه)**[١]، وقوله ﷺ: **(الخَيْل لرجل أجْرٌ...، وعلى رجل وِزْرٌ، فأمّا الذي له أجْرُ: فرجل ربطها في سبيل الله...، ورجل ربطها فخراً ورياءً ونِواءً لأهل الإسلام فهي على ذلك وِزْرٌ)**[٢].

هذا فيما يتعلق بإِخْلاص القصد، وأمّا الجزْء الذي يتكامل معه، فهو موافقة الشرع **(السلوك السوي)**، فالسنة تشترط لحصول المنفعة الأخروية أو لإقرار شرعية المنفعة الدنيوية أن يكون السلوك المقابل لها موافقاً للشريعة؛ لا يتعارض مع أصولها ولا مع مقاصدها. ويظهر ذلك جليًّا في قول النبي ﷺ: **(من تصدّق بِعَدْلِ تمْرَةٍ من كسْبٍ طيّب، ولا يقبل الله إلا الطيب، فإن الله يتقبلها بيمينه، ثمّ يربِّيها لصاحبها كما يربي أحدُكم فَلُوَّهُ[٣]، حتى تكون مثل الجبل)**[٤]، وقوله ﷺ: **(وفي بضع أحدكم صدقةٌ. قالوا: أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجْر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام، أكان عليه فيها وزرٌ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال؛ كان له أجر)**[٥].

وبذلك تظهر العلاقة الارتباطية **(الشرطية)** في السنة النبوية بين المنفعة من جهة و السلوك السوي المقبول من جهة أخرى.

---

(١) المصدر السابق، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، ح رقم (١).
(٢) المصدر السابق، كتاب المساقاة، باب شرب الناس والدواب من الأنهار، ح رقم (٢١٩٨).
(٣) الفُلو: المهْر
(٤) البخاري، الصحيح، كتاب الزكاة، باب الصدقة من كسب طيب، ح رقم (١٣٢١).
(٥) مسلم، الصحيح، كتاب الزكاة، باب بيان أن أسم الصدقة ...، ح رقم (١٦٧٤).

ثالثاً – إتقان السّلوك:

من محددات المنفعة ذات العلاقة الأدائية (**الهندسية**) بالسلوك في السنّة: ضرورة القيام بأداء السلوك ضمن المواصفات والقياسات المبيّنة له في السياقات التي تعرض إلى معادلة المنفعة في مقابل السلوك.

وهذا جانب مهم، يبين نظرة السنة الجمالية المبنية على تحرّي الدّقة، وبذل أقصى الجهد، والإنتاج السليم، ومراعاة الحقوق، والضبط التطبيقي، تحقيقاً لمفهومي الإتقان والإحْسان، اللّذيْن يفرضان حسن الأداء والارتقاء في الفعل المادي الدنيوي وفي الفعل الشرعي الأخروي على حدٍّ سواء، كما ننظُر ذلك بجلاء في قوله ﷺ: **(إن الله يحب أحدكم إذا عمل عملاً أنْ يتقنه)**[١]، وفي قوله ﷺ في مراتب الإسلام والإيمان والإحسان: **(الإحسان أنْ تعبد الله كأنك تراه، فإنْ لمْ تكن تراه فإنّه يراك)**[٢].

وبتتبع علاقة المنفعة بالإتقان باعتباره محدداً لها في السنة النبوية، يظهر ذلك مطلباً جلياً في تطبيقات عدّة تضمنتها الأحاديث النبوية، كما في قوله ﷺ: **(لا يتوضَّأ رجل فيحسن وُضُوءه ويصلِّي الصلاة إلا غفر له ما بينه وبيْن الصلاة حتى يصلِّيها)**[٣]، وقوله ﷺ: **(خمس صلوات افترضهن الله، من أحسن وضوءهنّ وصلاتهن لِوقتهن وأتمَّ ركوعهنّ، وسجودهنّ وخشوعهنّ، كان له على الله عهدٌ أن يغفر له)**[٤].

وهذا المحدد من شأنه أن يصحح النظرة إلى المنفعة المترتبة على السلوك، وأنها لا تتعلق بمجرّد الأداء، ولو كان الفعل تعبديا، بل لا بد من القيام

---

(١) الطبراني، المعجم الأوسط، ح رقم (٩٠٩)، حسنه الألباني في صحيح الجامع ح رقم(١٨٨٠)

(٢) البخاري، الصحيح، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل، ح رقم (٤٨).

(٣) مسلم، الصحيح، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، ح رقم (٣٣٤).

(٤) أحمد، المسند،ح رقم(٢٢٧٥٦)، قال محققه شعيب الأرنؤوط(٣١٧/٥): إسناده صحيح.

بمطالب المنفعة وشروطها، التي منها: تحقيق مواصفات السلوك. وهو جانب يُعنى بالأبعاد والأهداف المهارية التي تراعيها التربية الإسلامية.

رابعاً – الفروق الفردية:

منظور السنة النبوية للسلوك والمنفعة المترتبة عليه، منظورٌ إنساني؛ يتعامل مع **الطبيعة الإنسانية** بكل مكوناتها وجدلياتها وسماتها وتغيراتها، ولذلك يراعي جميع العوامل الفطرية والمكتسبة التي تؤثر في طبيعة الأداء والفعل الإنساني ومستوياته. وهذا يدل على مراعاة السنة النبوية لمبدأ الفروق الفَرْدية واعتبارها له في الميدانيْن النظري والتطبيقي. **يقول أَبِو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَى وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ. فَقَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟». قَالُوا: يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَلَا نَتَصَدَّقُ، وَيُعْتِقُونَ وَلَا نُعْتِقُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–: «أَفَلَا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ، إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ»؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وَتَحْمَدُونَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً».**

قَالَ أَبُو صَالِحٍ: فَرَجَعَ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– فَقَالُوا: سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا فَفَعَلُوا مِثْلَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–: «ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ»[1].

وفي ميدان المنفعة والسلوك في السنة النبوية، تعمل الفروق الفردية كعامل بارز في تحديد مقدار المنفعة ومستواها ونوعها، مراعية بذلك جميع أشكال الفروق الفردية ذات الأثر في الأداء الإنْساني ومعطياته.

فيظهر في السنة أثر **الفروق الفردية السّلوكية (مرحلة الأداء السلوكي)** في المنفعة كما في قوله ﷺ: **(من اتّبع جنازة مسلم إيماناً واحتساباً وكان معه**

(١) مسلم، الصحيح، كتاب الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة، ح رقم (١٣٧٥).

حتى يُصَلِّيَ عليها ويفرغ من دفنها فإنه يرجع من الأجر بقيراطين، كلُّ قيراط مِثلُ أحد، ومن صَلّى عليها ثمَّ رجع قبل أن تدفن فإنه يرجع بقيراط)[(١)]. فكما يلحظ اختلفت المنفعة وتفاوت مقدارها ونوعها باختلاف مرحلة الأداء السلوكي؛ أي الفروق الفردية في مستويات أداء السلوك الواحد.

كما يظهر في السنة النبوية أثر **الفروق الفردية الاقتصادية والاجتماعية**، كما في قوله ﷺ: **(أفضل الصدقة- أو خير الصدقة- عن ظهر غنِىً)**[(٢)]، وأثر **الفروق الفردية العلمية (نوع السلوك)**، كما في قوله ﷺ حينما ذُكِر له رجلان: أحدهما عابد، والآخر عالم، فقال: **(فضلُ العالم على العابد، كفضلي على أدناكم)**[(٣)]، وأثر **الفروق الفردية المهارية**، كما في قوله ﷺ **(الماهر بالقرآن مع السَّفَرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه، وهو عليه شاقّ، له أجران)**[(٤)].

فهذه الجملة من الأحاديث تؤكّد واقعيّة السنة النبوية وإنسانيتها في تقدير المنفعة، وتجعل عمل الفروق الفردية محدداً واضحاً ومعتبراً في تفاوت مستويات المنفعة تبعا لاختلاف تلك الفروق الفردية بأشكالها المتنوعة

خامساً – البيئـــــة:

يقصد بالبيئة في هذا الموضع، جميع الظروف الزمانية والمكانية والاجتماعية والشخصية التي يمكن أن يكون لها أثر في تقدير المنفعة.

وبعد تتبع ونظر في السنة النبوية، تبين أنها تراعي عامل البيئة – كما راعت العوامل السابقة- باعتباره محدداً للمنفعة المترتبة على السلوك.

---

(١) البخاري، الصحيح، كتاب الإيمان، باب اتباع الجنائز، ح رقم (٤٥).
(٢) المصدر السابق، كتاب الزكاة، باب بيان أن اليد العليا خير، ح رقم (١٧١٦).
(٣) الترمذي، السنن، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه، ح رقم (٢٦٠٩)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، جـ١، ح رقم (٧٧).
(٤) مسلم، الصحيح، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل الماهر في القرآن، ح رقم (١٣٢٩).

وقد يكون محدد البيئة مكانياً اجتماعيا، كما في ظروف أداء الصلاة وبيئتها، فقد قال ﷺ: **(صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذّ بسبعٍ وعشرين درجة)**[١].

وقد يكون اجتماعياً، **كما في قوله ﷺ حينما سألته امرأة: أيجزئ عَنيِّ أنْ أنفق على زوجي وأيتام لي في حَجْري؟ فقال: (نعم لها أجران: أجْر القرابة وأجر الصدقة)**[٢]، وقد يكون **(محدِّد البيئة)** اجتماعياً نفسياً، كما في قوله: **(إني أعطي قريشا أتألّفهم)**[٣]، وقد يكون عسكرياً نفسياً، كما في قول لأصاحبه في ليلة الأحزاب وظرفها القاسي: **(ألا رجلٌ يأتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة)**[٤]، وقد يكون محدد البيئة زمانياً، كما في قوله لامرأة من الأنصار:**(فإذا جاء رمضان فاعتمري، فإن عمرةً فيه تَعدِل حجّة)**[٥].

وبذلك يظهر كيف يُؤثر مناخ السلوك وظروف أدائه في تقرير مستوى المنفعة ونوعها، ومراعاة المنظور النبوي لذلك، بما يؤكّد موقع البيئة محدداً للمنفعة المترتبة على السلوك.

سادساً: الفَضْل الربّاني[٦]:

في البحث المعمّق لمحددات المنفعة المترتبة على السلوك في السنة

---

(١) البخاري، الصحيح، كتاب الأذان، باب فضل صلاة الجماعة، ح رقم (٦٠٩).
(٢) المصدر السابق، كتاب الزكاة، باب الزكاة على الزوج، ح رقم (١٣٧٣).
(٣) المصدر السابق، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي يعطي المؤلفة قلوبهم، ح رقم (٢٩١٣).
(٤) مسلم، الصحيح، كتاب الجهاد، باب غزوة الأحزاب، ح رقم (٣٣٤٣).
(٥) المصدر السابق، كتاب الحج، باب فضل العمرة، ح رقم (٢٢٠١).
(٦) هذا المحدد وإن كان يستحق الأولوية والتقديم، إلا أن الباحث اختاره هنا لسببين:
الأول: لتقرير حقيقة أن المنظور الإسلامي –ومنه السنة– للمنفعة أنها لا بد أن تكون مقابل جهد وعمل وعطاء، وفقاً لدعاوى الاسترخاء....
والثاني: لجعله محدداً خاتماً يحيط بكل المحددات السابقة، ويذكّر بأنها جزء من حقيقته، وهو يقوم على حقيقة أن المنعم الحقيقي على العباد هو الله تعالى.

النبوية، يمكن استظهار محدد "متميز"، له أثره الواضح في تقرير نوع المنفعة ومقدارها، الذي بالاستطاعة تسْميته بـ "فضل الله تعالى أو "الفضل الربّاني".

وهذا المحدد لا ينفي النظرة الإسلامية عن كون كل محددات المنفعة التي تؤثر في حصولها إيجابياً هي في الحقيقة من فضل الله تعالى، ولكن بالإمكان تخصيصه، باعتبار أنه عامل مؤثر في زيادة قيمة المنفعة رغم ثبات مستوى السلوك وتعادله الأدائي، ويظهر ذلك جليّا في قول النبي ﷺ: **(إنما أجَلكم في أجَل من خلا من الأمم، كما بين صلاة العصر ومغرب الشمس، ومثلكم ومثل اليهود والنصارى، كمثل رجل استعمل عمالاً، فقال: من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط؟ فعملت اليهود، فقال: من يعمل لي من نصف النهار إلى العصر؟ فعملت النصارى. ثم أنتم تعملون من العصر إلى المغرب بقيراطين قيراطين، قالوا: نحن أكثر عملاً وأقلّ عطاء، قال: هل ظلمتكم من حقكم؟ فقالوا: لا، قال: فذاك فضلي أوتِيه من شئت)**[1]. **ويعلق ابن حجر على قول النبي ﷺ في الرجل الذي أسلم فقاتل فقتل: (عَملَ قليلاً وأُجِرَ كثيراً)، بقوله: "وفي هذا الحديث أن الأجر الكثير قد يحصل بالعمل اليسير فضلاً من الله وإحسانا"**[2].

(١) البخاري، الصحيح، كتاب فضائل القرآن، باب فضل القرآن على سائر الكلام، ح رقم (٥٠٢١).

(٢) ابن حجر، فتح الباري، حـ٦، ص ١٠٥.

المبحث الرابع
العلاقة بين المنفعة والسّلوك في السنّة النبويّة

في هذا الجزء من الدراسة يتم تتبع رؤية السنة النبوية لطبيعة العلاقة بين المنفعة والسلوك وجوانبها المختلفة، وذلك من خلال القراءة المعمّقة للنصوص المتضمنة للتأشيرات والتقديمات الكاشفة عن تلك العلاقة، والتي تمكّن الباحث من تحديدها ضمن المحاور الآتية:

أولاً: المنفعة والأداء السّلوكي ومستوياته:

من أصول العلاقة التي ترسيها السنة النبوية بين المنفعة والسلوك: أن المنفعة مقابل المجهود السلوكي؛ أي: الأصل أنَّ المنفعة لا تحصل إلا بأنْ يُبذَل مقابلها جهد معين يتمثل بأداء السلوك المتطلب إزاءها. فلا تحصل المنفعة بالمجّان أو بالأماني أو بالتكاسل والدعاوى، بل لا بد من خطوات إلى الإمام، وعطاء على أرض الواقع.

وهذا الأصل في منظور السنّة النبوية إلى العلاقة بين المنفعة والسلوك، إنما يُعبّر عن واقعية السنّة النبوية وتعاملها الإيجابي مع الطبيعة الإنسانية من جهة، وطبيعة الحياة الدنيا والأخرى من جهة. ويظهر تقرير هذا الأصل في حديث ربيعة بن كعب الأَسْلَمي – رضي الله عنه– الذي يقول فيه: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ، فأتيته بوضوئه وحاجته، فقال ليسَل)، فقلتُ: أسألك مرافقتك في الجنّة. قال: (**أو غير ذلك؟**)، قلت: هو ذاك. قال: (**فأعنّي على نفسك بِكثرة السجود**)[1]. فهذا الحديث يدل على أن النبي ﷺ طلب من ربيعة مقابل تحصيله تلك المنفعة التي سألها أن يبذل جهداً وأن يقدّم عملاً، ليقرر بذلك الأصل السلوكي مقابل الأصل المنفعي، وليرتقي بالمسلم من مرحلة التواكل أو التكاسل إلى مرحلة الجدّ والاجتهاد، ومن نظرة التراخي إلى نظرة الحزم

(١) مسلم، الصحيح، كتاب الصلاة، باب فضل السجود، ح رقم (٧٥٤).

والعمل. وجانب آخر من هذه العلاقة تقرره السنة النبوية، يتمثل في أن السنة النبوية رغم إقرارها لأصل المنفعة مقابل السلوك، إلا إنها تقيّده أيضا بقيد أصيل يتمثل في أن المنفعة تكون مقابل السلوك السّوي[١].

فالأصل في حصول المنفعة تقديم جهد (**سلوك**)، لكن ليس أيّ سلوك، بل يشترط فيه أيضا أن يكون سلوكاً سويّاً (**موافقاً لقواعد الشريعة**)، ويظهر تقرير ذلك في قول النبي ﷺ: (**إنك لن تخلَّف فتعمل عملا صالحا إلا ازددت به درجةً ورفعة**)[٢]، فاشترط الصلاح (**السّواء**) في العمل (**السلوك**) ليحصل على المنفعة المقررة. ولذلك أسقطت السنة مشروعية تلك المنافع التي يتخلف فيها شرط السّواء في السلوك رغم بذل صاحبه للجهد وقيامه بالسلوك، كما في قول ﷺ: (**مهر البغيّ خبيث**)[٣].

ورغم إقْرار هذا الأصل في السنة النبوية؛ من أن تحصيل المنفعة لا بد أن يقابله بذل جهد وعطاء، إلا إنّ واقعيتها وأصولها الربانية، تفرض تحديدات استثنائية لهذا الأصل، تكشف عن جوانب مهمة في العلاقة بين المنفعة والسلوك – ترجع إلى فضل الله تعالى وإحسانه إلى عباده الصالحين ومراعاة مقاصدهم وإمكاناتهم الإنسانية المحدودة وما قد يصبهم من أقدار الله الكونية– والتي تتمثل فيما يمكن أن يوصف بالعلاقة بين المنفعة ومستويات السلوك، والتي يمكن رصدها وتصنيفها ضمن القائمة الآتية:

- العزم على السلوك (**دون فعله**).
- القدرة على السلوك (**فعله**).
- الكفّ عن السلوك (**مع القدرة**).
- العجز عن السلوك (**عدم القدرة**).

---

(١) يمكن مراجعة مبحث محددات المنفعة في هذه الدراسة.
(٢) البخاري، الصحيح، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، ح رقم (٤٠٥٧).
(٣) مسلم، الصحيح، كتاب المساقاة، باب تحريم ثمن الكلب، ح رقم (٢٩٣٢).

- التوقف عن السلوك (**انقطاع مصدره**).

- السلوك غير المقصود.

وأمام هذه المكونات السلوكية المختلفة، يلحظ أن السنة النبوية متميزة في تقديم المنفعة إزاء جميع مستوياتها للأسس المتقدمة الذكر ولكن ضمن شروط وحيثيات معينة تحيط بكل موقف تطبيقي على حِده، لكن الأصل هو اعتبار هذا المستوى من العلاقة في منظور السنة النبوية.

وقد تضمنت السنة النبوية، جملة من الأحاديث التي أشارت إلى تطبيقات هذا الجانب من العلاقة بين المنفعة ومستويات السلوك، وأقرّت حصول المنفعة فيْها؛ ففي مستوى العَزْم على السلوك، ورد قولهﷺ: (**فمن هَمَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة**)[١]، وفي مستوى القدْرة على السلوك وفعله، ورد قوله ﷺ: (**وإنْ هَمّ بها (الحسنة: السلوك الحسن) فعملها** كتبها الله عز وجل عنده عشر حسنات)[٢]، وفي مستوى الكفّ عن السلوك (**غير السّوي**)، ورد قوله ﷺ: (**وأن هَمَّ بسيئة (السلوك غير السوي) فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة**)[٣]، وقوله ﷺ: (**وليمسك عن الشر فإنها صدقه**)[٤]، وفي مستوى العجز عن السلوك لعدم القدرة عليه، ورد قوله ﷺ: (**إذا مرض العبد كُتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً**)[٥]، وقوله ﷺ في إحدى غزواته: (**إنّ أقواماً بالمدينة خلفنا ما سلكنا شِعْباً ولا وادِياً إلا وَهُم معنا فيه**[٦] **حبسهم العذر**)[٧]، وفي مستوى التوقف عن السلوك، أي: توقف صاحب السلوك عن الاستمرار في

---

(١) البخاري، الصحيح، كتاب الرقاق، من هَمَّ بحسنة، ح رقم (٦٠١٠).
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق، كتاب الزكاة، باب على كل مسلك صدقة، ح رقم (١٣٥٣).
(٥) المصدر السابق، كتاب الجهاد، باب يكتب للمسافر، ح رقم (٢٧٧٤).
(٦) أي: معهم في النية، ويشاركونهم في الأجر والثواب؛ لصدق نيتهم في الخروج للجهاد لو استطاعوا.
(٧) البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد، باب من حبسه العذر، ح رقم (٢٦٢٧).

أداء السلوك ذاته، مع استمرار آثار السلوك وأصله ونوعه بسببه، ورد قوله ﷺ: **(إنّ مما يلحق المؤمن من عملِه وحسناته بعد موتِه علماً عَلَّمَه ونَشره...، أو مسجداً بناه ...، أو صدقة أخرجها من مالِه في صحته وحياته، تلحقه بعد موته)**[1]، وفي مستوى السلوك غير المقصود واللّاإرادي، ورد قولهﷺ: **(ما يُصيب المسلم من نصب...، ولا هم ولا حزن، ولا غَمّ ...، إلا كفّر الله بها من خطاياه)**[2].

فكما يلحظ من النصوص المتقدمة التي تحمل طرفي المعادلة: المنفعة والسلوك، فإنها قد تضمن دلالات على اعتبار المنفعة في حالات استثنائية من المستوى الأصل (**أداء السلوك**)، تصبّ في قناة "السلوك المتوقف"، ولكن ليس ذلك على إطلاقه ولا تعارضاً مع الأصل المقرر في ضرورة بذل الجهد لحصول النفع، بل يكون ابتداءً فضلاً من الله تعالى، ووفقاً لاعتبارات وشروط شرعية لا بدّ من توافرها كالنيّة، والسببيّة.

ثانياً – العلاقة "النوعية" و"الكمّية" بين المنفعة والسلوك:

بتتبع جوانب العلاقة بين المنفعة والسلوك في السنة النبوية، يلاحظ في جانب منها، أنّ المنفعة من جنس السلوك (**نوعه**)؛ وهذا ليس على إطلاقه ولكنه أمر ملاحظ وظاهر وجدير بالاهتمام، وهو يقع غالبا فيما يتعلق بالمنفعة الأخروية أو المعنوية المترتبة على السلوكات ذات الاتجاه الديني أو الدنيوي عموماً، أما فيما يتعلق بالمنافع المادية ذات المصادر البشرية فأمرها فيه سعة.

وبروز هذا الجانب من العلاقة بين المنفعة والسلوك، والذي يتمثل في كون المنفعة من جنس السلوك أو من نوعه، يلاحظ في مواقع عديدة في السنة النبوية، منها، قوله ﷺ:

---

(١) ابن ماجه، السنن، باب ثواب معلم الناس، ح رقم (٢٣٨)، والألباني، صحيح الترغيب والترهيب، ح رقم(٧٣)

(٢) البخاري، الصحيح، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرضى، ح رقم (٥٢١٠).

(من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة)[١]، وقوله ﷺ :**(ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كُرْبةً فرّج الله عنه كُرْبةً من كُرَب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً سترَه الله يوم القيامة)**[٢]، وقوله ﷺ في الحديث القدسي، قال الله عز وجل: **(أَنْفِق أُنْفِق عليك)**[٣]، وقوله ﷺ: إن الرحم شِجْنَةٌ من الرحمن، فقال الله: من وصَلَكِ وصَلْتُه)[٤]، وقوله ﷺ: **(ارحموا مَنْ في الأرض يرحمكم من في السماء)**[٥]، وقولهﷺ: **(خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره)**[٦].

فهذه جملة من الأحاديث تؤكد المقولة السابقة في توصيف جانب من العلاقة بين المنفعة والسلوك، والتي تشير إلى أن المنفعة تكون من جنس السلوك، وهذا فيه مزيد تكريم لصاحب السلوك وعناية بمواقفه الحسنة حيث جوزي بمنافع من جنس تلك التي قدّمها لغيره، ولكنها تكون أعلى مقاماً وأجل عطاء وأسمى مصدراً.

وفيما يتعلق بالجانب الآخر من جوانب العلاقة بين المنفعة والسلوك، وتحديداً جانب **العلاقة الكمّية بينهما**، فما يظهر في السنة النبوية، أن طبيعة العلاقة الكمّية بين المنفعة الأخروية –تحديداً– والسلوك المادي أو الديني في الدنيا، تقوم على **مبدأ المضاعفة** لا المشاحّة الذي تقوم عليه العلاقة بين المنافع المادية البشرية والسلوك الإنساني المادي الدنيوي.

---

(١) المصدرالسابق، كتاب الصلاة، باب من بنى مسجداً، ح رقم (٤٣).
(٢) المصدر السابق، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم، ح رقم (٢٢١٢).
(٣) المصدر السابق، كتاب التفسير، باب قوله تعالى وكان عرشه على الماء، ح رقم (٤٣١٦).
(٤) المصدر السابق، كتاب الأدب، باب من وصل وصله الله، ح رقم (٥٥٢٩).
(٥) الترمذي، السنن، كتاب البر، باب ما جاء في رحمة الناس، ح رقم (١٨٤٧)، والألباني، السلسلة الصحيحة، ح رقم (١١٧).
(٦) المصدر السابق، باب ماجاء في حق الجوار، ح رقم (١٨٦٧)، والألباني، السلسلة الصحيحة، ح رقم (٣٣٣).

ويرجع مبدأ المضاعفة في العلاقة الكمية بين المنفعة والسلوك في السنة النبوية إلى فضل الله تعالى وإحسانه إلى عباده، وهو أصل ظاهر ومقرر في أحاديث كثيرة، كما في قوله ﷺ: (وإن همّ بها (الحسَنة) فعملها كتبها الله عز وجل عنده عشرَ حسنات إلى سبعمائة ضِعْف إلى أضعافٍ كثيرة)[١]، وقوله ﷺ في الرجل الذي أسلم ثمّ قاتل فقتل: (عَمِلَ قليلاً وأُجِر كثيراً)[٢]، وقوله ﷺ للرجل الذي تصدّق بناقة مخطومة في سبيل الله: (لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة)[٣]، وهذا حديث يعبر عن العلاقتين: علاقة المنفعة بجنس السلوك، والعلاقة الكمية بين المنفعة والسلوك، وقوله ﷺ: (من قال سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، غرسَ الله بكل واحدة منهنّ شجرة في الجنة)[٤]، وهذه منافع كبيرة مقابل سلوك قولي يسير.

ثالثاً – أثر المنفعة في تعديل السّلوك وإشاعته:

جبلت النفس الإنسانية على حب الملذّات والمسرّات، وهو أمر يدفعها دائماً إلى الحرص على تحصيل كل الأسباب التي من شأنها توفير الملذات النفسية، وبذل كل جهد من شأنه أن يحقق متطلبات سعادتها النفسية.

وتؤكد "نظريات التعلّم إمكان التحكم في عملية تطور الشخصية من خلال التحكم في الظروف والمؤثرات البيئية التي يتفاعل معها الفرد والتحكم بنواتج السلوك التعزيزية والعقابية"[٥]. وترى كذلك "أنه من الممكن تشكيل سلوك أيّ فرد وبالتالي التحكم في شخصيته من خلال المكافآت والنواتج العقابية"[٦].

---

(١) مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب إذا هَمَّ العبد بحسنة، ح رقم (١٨٧).
(٢) البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد، باب عمل صالح قبل القتال، ح رقم (٢٥٩٧).
(٣) مسلم، الصحيح، كتاب الإمارة، باب فضل الصدقة، ح رقم (٣٥٠٨).
(٤) الطبراني، المعجم الأوسط، ح رقم (٨٧١٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ح رقم (٢٩٧١).
(٥) الهنداوي، علي فالح، والزغول، عماد، مبادئ في علم النفس، مكتبة الفلاح، الكويت، ط١،٢٠٠٢م، ص٢٧١.
(٦) المرجع السابق.

وتشكل المنفعة المترتبة على السلوك الإنساني أحد الأذرع الأساسية المتحكمة في عملية تعديل السلوك وإشاعته، وبالتالي تطوير الشخصية وتحسين أدائها وإشاعة كل أشكال السلوك السوي في المجتمعات والزيادة في مستواها وحضورها وآثارها.

ويقصد بتعديل السلوك: "التغير المقصود والمرغوب فيه، المراد إحداثه في سلوك الفرد"(١) ويختلف هذا "التغير باختلاف الهدف من برنامج التعديل الذي يتم توظيفه؛ فقد يكون الهدف منه تشكيل سلوك أو عادة جديدة لدى الأفراد، أو إحداث مَحْو في سلوك واستبداله بسلوك جديد، أو تطوير في سلوك معين وتحسينه"(٢).

ومن منظور التربية الإسلامية، فإن تعديل السلوك "عملية واعية تؤدي إلى إحداث تغيرات في السلوك الإنساني، وتنمّي مظاهر السلوك الإيجابي، وتقضي على مظاهر السلوك السَلْبي بما يتفق مع أسس ومبادئ العقيدة الإسلامية، وحاجات النفس البشرية"(٣).

ويعد مفهوم المنفعة جزءاً من مفهوم الدافعية(٤)، فالمنفعة المترتبة على السلوك تمثل أحد المؤثرات الأساسية في الدافعية لأدائه وتعديله.

وفي منظور السنة النبوية، فإن للمنفعة دورها الواضح في تعديل السلوك الإنساني بمختلف صيغه؛ حيث بيّنت السنة النبوية أثر المنفعة في تشكيل السلوك السوي ابتداءً، كما في قول النبي ﷺ لأصحابه محرّضاً لهم في غزوة

---

(١) الزغول، عماد، نظريات التعلّم، دار الشروق، عمّان، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م، ص٩٨.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الشريفين، عماد، تعديل السلوك الإنساني في التربية الإسلامية، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، اربد، ١٤٢٢١هـ-٢٠٠٢م، ص٧٥.

(٤) الدافع، بمعناه الشامل، ويقصد به: "مجموعة القوى الداخلية والخارجية النشيطة المحرّكة للسلوك"، فهو يجمع، "كافة العناصر والقوى الفطرية والمكتسبة المحركة للسلوك؛ من حاجات، ورغبات، وميول، واتجاهات، وانفعالات، وعواطف، وقيم، وعادات، وحوافز، وبواعث، وأغراض، وأهداف". الشيباني، عمر التومي، علم النفس التربوي، جامعة الفاتح، ليبيا، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، ص٩٨.

بدر: **(والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فَيُقتل صابراً محتسباً، مقبلاً غير مدبر، إلا أدخله الله الجنة)**، فقال عمير بن الحمام – رضي الله عنه– وفي يده تمرات يأكلهن: بخٍ بخٍ !! فما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ؟! فقذف من يده ما بقي من تمرات وأخذ السيف، فقاتل القوم حتى قتل[١].

كما بيّنت السنة النبوية أثر المنفعة في تطوير السلوك وتحسينه، وهذا في قوله ﷺ: **(أنا زعيمُ ... ببيتٍ في أعلى الجنة لمن حَسُنَ خُلُقه)**[٢]، كما بينت السنة – كذلك – أثر المنفعة في إحداث مَحْو في السلوك أو كفٍّ عن السلوك غير المرغوب فيه، وهذا قوله ﷺ: **(أنا زعيم ببيتٍ في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً، وببيتٍ في وسط الجنة لمن ترك الكذب)**[٣]، وقوله ﷺ: **(تكفّ شرَّك عن الناس، فإنها صدقة منك على نفسك)**[٤]. وتضمنت السنة النبوية كذلك، الإشارة إلى أثر المنفعة في الحفاظ على السلوك السوي والدفع باتجاه استمراره وبقاء فاعليته وذلك كما في قوله ﷺ: **(وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبّه)**[٥]، وقوله ﷺ: **(إن للّه أقواماً يختصهم بالنّعم لمنافع العباد، ويقرّهم فيها ما بذلوها)**[٦].

وإضافة إلى أثر المنفعة في تعديل السلوك بصيغه المختلفة، فإن لها أثراً كذلك في إشاعة السّلوك السّوي على المستوى الفرْدي وعلى المستوى الاجتماعي، وهذا مقصد أساسي من مقاصد السنة النبوية.

ومن مواقع إشاعة السلوك إثْرَ المنفعة المترتبة عليه في السنة النبوية،

---

(١) مسلم، الصحيح، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، ح رقم (٣٥٢٠).
(٢) الترمذي، السنن، كتاب البر، باب ما جاء في المراء، ح رقم (١٩١٦)، والألباني، السلسلة الصحيحة، ح رقم (٣٠٢).
(٣) المصدر السابق، والألباني، السلسة الصحيحة، ح رقم (٣٠٢).
(٤) البخاري، الصحيح، كتاب الإيمان، باب كون الإيمان أفضل الأعمال، ح رقم (١١٩).
(٥) المصدر السابق، كتاب الرقاق، باب التواضع، ح رقم (٦٠٢١).
(٦) الطبراني، المعجم الأوسط،ح رقم(٥٢٥٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ح رقم (١٣٤٢)

قوله ﷺ حينما دخل المدينة المنورة مخاطباً المجتمع: **(يا أيها الناس، أفشو السلام، وأطعموا الطعام، وصِلُوا الأرحام، وصلّوا بالليل والناس ينام، تدخلوا الجنة بالسلام)**[١]، فهذا نص واضح تضمن عدداً من السلوكات السوية المجتمعية، ورتب على القيام بها الحصول على منفعة عظمى وهي الجنة، ولا شك أن في هذا إشاعة للسلوك السوي ودعوى إلى إحيائه وتعاطيه على أوسع مدى في المجتمع المسلم، وقوله ﷺ: **(لو يعلم الناس ما في النّداء والصف الأول ثمّ لم يجدوا إلا أن يسْتهِموا[٢] عليه لاسْتهموا)**[٣]، وفي هذا النص إشاعة للسلوك السوي **(التعبّدي)**، بإثارة التنافس عليه.

ويلحظ المتأمّل في السنة كذلك توجها واضحاً إلى نشر السلوك الإنساني بترتيب المنفعة عليه، كما في قوله ﷺ:**(كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتيْن في الجنة)** وأشار مالك بالسبّابة والوسطى[٤]، ونشر السلوك البيئي **(الزراعي)**، كما في قوله ﷺ:**(لا يغرس مسلم غرساً ولا يزرع زرْعاً فيأكل منه إنسانٌ ولا دابّة ولا شيء إلا كانت له صدقة)**[٥]، وإشاعة السلوك التعليمي التعلمّي، كما في قوله ﷺ:**(من عَلّمَ علماً فله أجر من عمل به، لا ينقص من أجر العامل شيء)**[٦].

ويمكن ختم هذه المعالجة البحثية، بالإشارة إلى المنظور الشمولي للسنة النبوية في طرفي الموضوع: تعديل السلوك وإشاعته بترتب المنفعة عليهما، والذي يتمثل فيما يتعلق بالطرف الأول **(تعديل السلوك)**، بتقرير السنة، بأن من

---

(١) الترمذي، السنن، كتاب صفة القيامة، ح رقم (٢٤٠٩)، والألباني، السلسلة الصحيحة، ح رقم (٤٦١).
(٢) يَسْتهموا : أي : يقترعوا.
(٣) البخاري، الصحيح، كتاب الأذان، باب الاستهام في الأذان، ح رقم (٥٨٠).
(٤) مسلم، الصحيح، كتاب الزهد، باب الإحسان إلى الأرملة، ح رقم (٥٢٩٦).
(٥) المصدر السابق، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس، ح رقم (٢٩٠٢).
(٦) ابن ماجه، السنن، باب ثواب معلم الناس الخير، والألباني، صحيح الترغيب والترهيب، ح رقم (٦٧).

المنافع التي تقرّرها **حيال من يسلك اتجاه تعديل السلوك**، هي منفعة القوّة والعَوْن على تعديل السلوك، وذلك كما في قوله ﷺ: (**ومَنْ يستعفف يُعفَّهُ اللَّهُ، ومن يستغنِ يُغْنِه الله، ومن يتصبّرْ يُصبِّره الله**)[١]، وأما الطرف الثاني (**إشاعة السلوك السوي والتشجيع عليه**)، فبتقرير **أصل المنفعة وتضعيفها**، حيال كل سلوك سوي يتسبب المسلم به، ويمتد فعله عبر الأزمنة والأمكنة والأشخاص، بحيث يحصل على أصل المنفعة المقررة لهذا السلوك كلما تجدد فعله عبر هذه الامتدادات وذلك مقرر في قوله ﷺ: (**من سنّ في الإسلام سنة حسنةً فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء**)[٢]، قال النووي: "فيه الْحثّ على الابْتدَاء بالخيرات وسنّ السُّنن الْحسنات"[٣]، وهذا من شأنه أن يدفع الذات بقوة نحو تحقيق مناط هذه المنفعة المتوالدة المتكاثرة.

رابعاً – "تَفْريد المنفعة" في مقابل "تفْريد السّلوك"

يقصد بتفريد المنفعة في هذا الجزء من الدراسة: رَصْد وتحليل أنواع المنفعة وقوائمها المراعاة في السنة النبوية إزاء جنس السلوك، وفي المقابل العمل على رصد وتحليل لتلك السلوكات في مقابل أصل المنفعة، وذلك قصداً إلى ملاحظة المنفعة المفرّدة والسلوك المفرّد في السنة بما يُعطي تصوراً واضحاً على رؤية السنة لكل منهما، وتمهيداً للإفادة منها في التطبيقات التربوية والنظرات المقارنة.

وفيما يتعلق بتفريد المنفعة، فبعد التأمّل في النصوص الحديثية ورصد أنواع المنافع إزاء السلوكات المقررة في سياقاتها، فإنه يمكن تقديم قوائم المنافع ومفرداتها، وفقاً لخريطة المنافع الآتية:

---

(١) البخاري، الصحيح، كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، ح رقم (١٣٣٨).
(٢) مسلم، الصحيح، كتاب العلم باب من سنّ سنة حسنة، ح رقم (٤٨٣٠).
(٣) النووي، سرح صحيح مسلم، ٣/٤٦١.

أ – "المنافع الإيمانية" و "المعنوية":

بتتبع الأحاديث الشريفة التي تضمنت الإشارة إلى المنفعة في مقابل السلوك، وتحديداً المنافع الإيمانية والمعنوية، ومنها: **محبة الله تعالى للعبد**، فهذه منفعة إيمانية معنوية سامية يتوصل إليها العبد في مقابل أدائه لجملة من السلوكات، حيث جاءت بذلك أحاديث شريفة تثبت محبة الله تعالى مقابل سلوك التقرب إلى الله المستمر بالنوافل، كما في الحديث القدسي: **(وما يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحِبَّه)**[١]، ومقابل سلوك القراءة المحددة لبعض سور القرآن، كما في السنة عن الرجل الذي كان يختم صلاته بـ**(قل هو الله أحد)** وحينما سئل عن ذلك فأخبرَ: لأنها صفة الرحمن، فقال ﷺ: **(أَخْبروه أنّ الله تعالى يحبّه)**[٢]، ومقابل سلوك الخلق الحسن كمال في قوله ﷺ حينما سُئل: من أحبُّ عباد الله؟ قال: **(أحسنهم خلقاً)**[٣]، وتثبت كذلك محبة الله **(منفعة إيمانية معنوية)** مقابل سلوك السماحة في البيع والشراء والقضاء، كما في قوله ﷺ: **(إن الله يحبُّ سَمْح البيع، سمحَ الشراء، سمح القضاء)**[٤]، بل وجاءت السنة في تقرير هذه المنفعة الإيمانية **(محبة الله)** في مقابل الأداء المتقن للسلوك **(السوي)** عموماً، كما في قوله ﷺ: **(إن الله يحبّ إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه)**[٥]. **ورحمة الله ورضاه**، وهذه المنفعة الإيمانية المعنوية معتبرة في السنة النبوية في مقابل أن يؤدي الإنسان المؤمن سلوكا ما، فقد جاءت بعض الأحاديث تبين حصول رضا الله في مقابل حمد الله تعالى على نعمة الأكل

---

(١) البخاري، الصحيح، كتاب الرقاق، باب التواضع، ح رقم (٦٠٢١).

(٢) المصدر السابق، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله، ح رقم (٢٢٢٠).

(٣) الطبراني، المعجم الكبير، ح رقم (٤٧٣) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ح رقم (١٣).

(٤) الترمذي، السنن، كتاب البيوع، باب استعراض البعير، ح رقم (١٢٤٠)، والألباني، السلسلة الصحيحة، ح رقم (١٢١٧).

(٥) الطبراني، المعجم الأوسط، ح رقم (٩٠٩)، حسنه الألباني في صحيح الجامع ح رقم(١٨٨٠).

والشرب بعد الفراغ منها، كما في قوله ﷺ:(**إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكْلة فيحمدَهُ عليها أو الشَّرْبة فيحمده عليها**)[١]، وتبين كذلك حصول رحمة الله في مقابل سلوك الرحمة الذي يصدر من الإنسان تجاه الآخرين في الدنيا، كما في قوله ﷺ: (**الراحمون يرحمهم الله –تبارك وتعالى– ارحموا من في الأرض يرحمْكم من في السماء**)[٢]، وفي مقابل سلوك (**عيادة المريض**)، كما في قوله ﷺ:(**من عاد مريضاً لم يزل يخوضُ في الرحمة حتى يجلس**)[٣]، وكذلك تحقيق الصلة بالله في مقابل سلوك صلة الرحم، كما في قوله ﷺ في الرّحم، قال تعالى: (**من وصلك وصلْته**)[٤]. **والثّناء والدّعاء والتقدير المقدّس**، ويقصد بهذه المنفعة الإيمانية المعنوية، حصول العبد على الثناء العالي المبارك من الله تعالى أو الثناء والدعاء والتقدير من ملائكته أو من رسوله ﷺ في أداء سلوكات معينة، كما جاءت بذلك السنة النبوية في أحاديث عديدة، حيث أشارت إلى حصول العبد على منفعة الثناء من الله (**الصلاة**) في مقابل سلوك الصلاة على النبي ﷺ، كما في قوله ﷺ: (**من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه عشرا**)[٥]، والثناء من الله وملائكته في مقابل سلوك السحور، كما في قوله ﷺ:(**إنّ الله وملائكته يصلّون على المتسحرين**)[٦]، ودعاء النبي ﷺ في مقابل السلوك السمح في البيع والشراء، كما في قوله ﷺ:(**رحم الله رجلا سمحاً إذا باع سمحاً إذا اشترى**)[٧]، ودعاء الملائكة في مقابل سلوك الإنفاق في سبيل الله، كما في قوله ﷺ: (**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملَكان ينزلان: فيقول أحدهما: اللهم**

---

(١) مسلم، الصحيح، كتاب الذكر، باب استحباب حمد الله، ح رقم (٤٩١٥).
(٢) الترمذي، السنن، كتاب البر، باب ما جاء في رحمة الناس، ح رقم (١٨٤٧)، والألباني، السلسلة الصحيحة، ح رقم (١١٧).
(٣) أحمد، المسند، ح رقم (١٣٧٤١)، والألباني، السلسلة الصحيحة، ح رقم (٢٣٤٥).
(٤) البخاري، الصحيح، كتاب الأدب، باب من وصل، ح رقم (٥٥٢٩).
(٥) مسلم، الصحيح، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي بعد التشهد، ح رقم (٦١٦).
(٦) أحمد، المسند، ح رقم(١٠٩٦٩)، والألباني، السلسلة الصحيحة، ح رقم (٢٢٢٢).
(٧) البخاري، الصحيح، كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء، ح رقم (١٩٣٤).

أعط مُنْفِقاً خَلَفاً)[١]، وتقدير الملائكة وعنايتهم في مقابل السلوك التعلّمي، كما في قوله ﷺ:(**إنّ طالب العلم لتحفّه الملائكة وتظلّه بأجنحتها**)[٢]، وتقدير النبي ﷺ وحفاوته في مقابل السلوك الجهادي، كما في الحديث الذي يرويه عليّ رضي الله عنه قال: (**ما رأيت النبيّ ﷺ يُفَدِّي رَجُلاً بعدَ سعدٍ، سمعته يقول: (ارمِ فداك أبي وأمّي**)[٣].

ب – "المنافع المادّية":

لا تقتصر السنة النبوية في تقريرها المنفعة المشروعة على المنافع الإيمانية فقط، بل تقرّ المنافع الماديّة بمختلف صورها الواقعة والمتجدّدة، وأصول ذلك وأمثلته حاضرة فيها، فالكسب المادّي بصوره المختلفة منفعة مطلوبة في السنة في مقابل السلوك الاقتصادي عموماً؛ زراعة كان أو تجارة أو عِمارة أو صناعة أو ما يلحق بها، فقد سئل النبي ﷺ: أيّ الكسب أطيب؟ قال: (**عملُ الرجل بيده، وكل بيع مبرور**[٤])[٥].

ومن **مفردات المنفعة المادية** في السنة النبوية، الغنيمة بمختلف أنواعها في مقابل السلوك الجهادي، كما في قوله ﷺ: (**انتدب الله عز وجل لمن خرج في سبيله...، أنْ أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة**)[٦]، وعن عمر رضي الله عنه أنه قال: (**لولا آخِرُ المسلمين ما فتحت قرية إلا قسْمتُها بين أهلها كما قسم النبي ﷺ خيبر**)[٧]. وكذلك منافع الأرض بأنواعها مقابل السلوك الزراعي بأشكاله المختلفة، مثل الإحياء للأرض الميْته، كما في قوله ﷺ: (**من أعْمَرَ أرضاً ليست**

---

(١) مسلم، الصحيح، كتاب الزكاة، باب في المنفق والممسك، ح رقم (١٦٧٨).
(٢) الطبراني، المعجم الكبير، ح رقم (٧٣٤٧) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ح رقم (٢٤٩٣).
(٣) البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد، باب المجن والترس، ح رقم (٢٦٩٠).
(٤) البيع المبرور: الذي لم يخالطه شيء من المأثم كالكذب والخداع....
(٥) أحمد، المسند، ح رقم (١٦٦٢٨)،وقال محققه شعيب الأرنؤوط٤\١٤١: حسن لغيره.
(٦) البخاري، الصحيح، كتاب الإيمان، باب الجهاد من الإيمان، ح رقم (٣٥).
(٧) المصدر السابق، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ح رقم (٣٩٠٩).

لأحد فهو أحق)[١]، وتأجير المزارع، كما في قول ابن عمر لرافع بن خديج رضي الله عنهما: **(قد علمتُ أنّا كنا نَكْري**[٢]**) مزارعنا على عهد رسول الله ﷺ على الأرْبعاء**[٣] **وبشيء من التبن)**[٤]، والمشاركة في العمل الزراعي، كما في قول الأنصار للنبي ﷺ: اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل. قال: لا، فقالوا: تكفونا المَؤُنَةَ[٥] ونَشْرَكُكُم في الثّمرة، قالوا: سمعنا واطعنا)[٦]. وكذلك جاءت السنة بمنافع الإجارة عموماً، فقد قال ﷺ: قال الله عز وجل: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة...، ورجلٌ استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يُعطه أجره)[٧].

وأشارت السنة لنبوية كذلك إلى المنافع الحياتية المتنوعة في مقابل السلوك الصناعي الممكن، مثل الانتفاع من الجلود بدباغتها، كما في قوله ﷺ حينما وجد شاة ميتة: **(هلّا انتفعتم بجلدها)**[٨]، ومثل الانتفاع بشحوم الميتة في طلاء السفن ودهن الجلود والاستضاءة بها[٩].

جـ - "المنافع الاجتماعية:

من المنافع التي تؤكدها السنة النبوية، ما يمكن أن يطلق عليه بالمنافع الاجتماعية التي من شأنها رفع مكانة الذات الإنسانية في المجتمع وإشاعة الأجواء الإيجابية بين أفراده وما يحيط بذلك.

---

(١) المصدر السابق، كتاب المزارعة، باب من أحيا أرضاً، ح رقم (٢١٦٧).
(٢) نكْري: نؤجّر.
(٣) ما ينبت على حافتي النهر الصغير.
(٤) البخاري، الصحيح، كتاب الحرث، باب ما كان أصحاب النبي يواسي بعضهم بعضاً، ح رقم(٢١٧٤).
(٥) العمل في البستان.
(٦) البخاري، الصحيح، كتاب المزارعة، باب إذا قال: اكفني مؤونة النخل، ح رقم (٢١٥٧).
(٧) المصدر السابق، كتاب البيوع، باب إثم من باع حرّاً، ح رقم (٢٠٧٥).
(٨) المصدر السابق، كتاب الزكاة، باب الصدقة على موالي أزواج النبي، ح رقم (١٣٩٧).
(٩) ينظر: الصنعاني، محمد، سبل السلام، دار الفكر، ج٣، ص٥ (د.ط).

ومن هذه المنافع الاجتماعية: منفعة تحقيق الذّات والتفرّد بالصفات الإيجابية في مقابل تمثّل السلوك المستقيم، كما يظهر ذلك في قوله ﷺ:(**لكل أمّةٍ أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بنُ الجرّاح**)[١]، واحترام الذات وصيانتها في مقابل السلوك المادي التجاري، كما في قوله ﷺ:(**لأن يأخذ أحدكم حبلة فيتحطب على ظهره خيرٌ له من أن يأتي رجلاً فيسْأله أعطاه أو منعه**)[٢]. وعلى العموم، فإن السنة أشارت إلى منفعة احترام الذات والارتقاء الاجتماعي، في مقابل السلوك الأخلاقي، كما في قوله ﷺ حينما سئل: أي الناس خير؟ قال: (**أحسنهم خلقا**)[٣].

ومن المنافع الاجتماعية: منفعة الألفة والمودّة والمحبة بين الناس في مقابل أداء سلوكات دينية اجتماعية كذلك، كما في قوله ﷺ:(**أوَلا أدلّكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**)[٤]، وكما في قوله ﷺ:(**إذا أحبّ أحدكم أخاه في الله فليُبَين له؛ فإنه خيرٌ في الألْفة، وأبقى في المودّة**)[٥].

د – "المنافع الصّحيّة والوقائيّة:

المنافع الصحية والوقائية معتبرة في السنة النبوية ولها حظها من الاهتمام في عديد من الأحاديث النبوية، حيث ترتبت تلك المنافع مجملة أو مفصلة على سلوكات معينة.

فمن المنافع الصحية الأساسية التي لا غنى عنها منفعة حصول الشفاء عموما مقابل القيام بسلوك طبّي علاجي، فقد أشارت إليها السنة النبوية في جملة أحاديث منها؛ قوله ﷺ : (**الشفاء في ثلاثةِ: شَرْبَة عسل، وشَرْطة مِحْجَم،**

---

(١) البخاري، الصحيح، كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران، ح رقم (٤٠٣١).
(٢) المصدر السابق، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف، ح رقم (١٣٧٧).
(٣) أحمد، المسند، ح رقم (١٧٧٢٨)، والألباني، السلسلة الصحيحة، ح رقم (١٢).
(٤) مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، ح رقم (٨١).
(٥) الألباني، السلسلة الصحيحة، ح رقم (١٦)، وقال: رواه وكيع في " الزهد " (٢ / ٦٧) بسند صحيح.

وكيّة نارٍ)[١] وقوله ﷺ **(إن هذه الحبّة السوداء**[٢] **شفاء من كل داء إلا من السّام (الموت))**[٣]. كما جاءت أحاديث تشير إلى حصول منفعة الشفاء مخصصة من أمراض معينة مقابل أداء سلوك علاجي مخصص كذلك، كما في قوله ﷺ: **(عليكم بهذا العُودِ الهندي فإن فيه سبْعة أشْفية : يُسْعَطُ به من العُذْرَة** [٤]**، ويُلَدَّ به من ذات الجَنْب...)**[٥]. وجاءت أحاديث أخرى تدل على حصول منافع صحية وتجميلية إزاء الأخذ بسلوكات صحيّة معيّنة، كما في قوله ﷺ:**(عليكم بالإثْمدِ؛**[٦] **فإنه منبتة للشعر، مذهبة للقذى، مصفاة للبصر)**[٧]، وقوله ﷺ:**(عليكم بالسواك، فإنه مطيبة للفم، ومرضاة للربّ)**[٨].

وأما المنافع الوقائية، فقد اشتملت عليها السنة النبوية في صورها المختلفة، حيث أشارت إلى حصول المنفعة الوقائية في الجانب الجسمي والجانب النفسي والعقلي مقابل القيام

بسلوكات صحية غذائية أو قولية تعبديّة، كما في قولهﷺ: **(من تصبّح كل يوم سبعَ تمرات عجوة لم يضرّهُ في ذلك اليوم سُمٌّ ولا سحر)**[٩]، وقوله ﷺ:**(لو أنَّ أحدهم، إذا أراد أن يأتي أهله، قال: باسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن يقدَّر بينهما ولدٌ في ذلك لم يضرّه الشيطان أبدا)**[١٠].

---

(١) البخاري، الصحيح، كتاب الطب، باب الشفاء في ثلاث، ح رقم (٥٢٤٨).
(٢) تُعرف بحبة البركة عند العطارين والعوام.
(٣) البخاري، الصحيح، كتاب الطب، باب الحبة السوداء، ح رقم (٥٢٥٥).
(٤) العُذرة: وجع الحلق، وذات الجنب: وجع في الخاصرة، والسعوط واللدود: استعمال الدواء وصبه.
(٥) البخاري، الصحيح، كتاب الطب، باب السعوط، ح رقم (٥٢٦٠).
(٦) نوع من الكحْل.
(٧) الطبراني، المعجم الكبير،ح رقم(١٨١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ح رقم (٢٣١٩).
(٨) أحمد، المسند، ح رقم (٥٥٩٩)، والألباني، السلسلة الصحيحة، ح رقم (٣٠٣٩).
(٩) البخاري، الصحيح، كتاب الأطعمة، باب العجوة، ح رقم (٥٠٢٥).
(١٠) مسلم، الصحيح، كتاب النكاح، باب ما يستحب أن يقوله عند الجماع، ح رقم (٢٥٩١).

قال ابن حجر: "لو أَنَّ أَحدكم إِذا أَراد أَن يأتيَ أَهله" وهي مفسِّرة لغيرهَا من الرِّوَايات دالَّة على أَنَّ القول قبل الشُّروع. وقوله (**لَمْ يَضُرّهُ شَيْطَان أَبَدًا**)، قيل: الْمعنى لم يسَلَّط علَيه من أَجْلِ بركة التَّسْمِيَة، وقال الدَّاوُدِيُّ: معنى "لَمْ يَضُرّهُ"، أَي: لم يفْتِنهُ عن دِينه إِلى الكفر. وفِيه الاعتصام بذكر اللَّه ودعائِه من الشَّيْطَان، وَالتَّبرُّكُ باسمه، والاستعاذَة به من جميع الأَسواء"[(١)].

وتتسع دائرة المنافع الوقائية في السنة النبوية لتشمل الجانب الأخلاقي، حيث أشارت بعض الأحاديث إلى حصول المنفعة الوقائية الأخلاقية والجنسية مقابل أداء سلوكات اجتماعية وتعبدية معينة، كما في قوله ﷺ: (**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجاء**)[(٢)]. ويدخل في مجال المنافع الوقائية كذلك الأحاديث النبوية التي جاءت في باب الأذكار والأدعية التي تشكل تحصينا للنفس المسلمة التي تواظب عليها وهي كثيرة في مؤلفات الحديث النبوي الشريف[(٣)].

هـ – المنافع الأخروية:

تفيض السنة النبوية بياناً في ترتيب المنافع الأخروية على الأداء السلوكي بمختلف أنواعه في هذه الدنيا، وليس ذلك إلا لمكانتها في التصور الإسلامي ولبالغ أثرها في النفس الإنسانية. ويقوم عماد المنافع الأخروية المترتبة على السلوك الإنساني على جانبيْن متكاملين؛ يتمثل الأول في تحصيل ما هو مرغوب فيه، في حين يتمثل الثاني في إزالة ماهوغيرمرغوب فيه.

ومن المنافع الأخروية المرغوب في تحصيلها: الجنّة، حيث جاءت أحاديث وافرة الكَمّ تؤكد هذا المطلب؛ أي: تحصيل منفعة الجنة في مقابل أداء سلوكات

---

(١) ابن حجر، فتح الباري، ١٤/ ٤٤٤.

(٢) المصدر السابق، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه، ح رقم (٢٤٨٥).

(٣) للوقوف على الأمثلة التفصيلية ينظر كتب الأدعية والأذكار والطب في الصحيحين.

عديدة، منها: السلوك التعليمي والتربوي الديني الجماعي، كما في قوله ﷺ حينما سئل: ما غنيمة مجالس الذكر؟ قال: **(غنيمة مجالس الذكر؛ الجنة)**[١]، ومنها السلوك البيئي الزراعي، كما في قوله ﷺ:**(ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً فيأكل منه طيرٌ أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة)**[٢].

ومن المنافع كذلك: منفعة تحصيل الشفاعة في الآخرة في مقبل السلوك الإيماني القولي، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه حينما سأل النبي ﷺ من أسعد الناس بشفاعته؟ فقال: **(أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه)**[٣]، ومنها: منفعة الاستظلال بظل العرش في مقابل السلوك الإنساني الاقتصادي، كما في قوله ﷺ:**(من أنظَرَ معسراً أو وضعَ عنه أظلّه الله في ظلّه)**[٤]. كما جاءت أحاديث في مطلق المنفعة في الآخرة مقابل سلوكات مختلفة، منها: السلوك البيئي الإنساني، كما في حديث أبي برزة رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله، علمني شيئاً أنتفع به، قال **(اعزل الأذى عن طريق المسلمين)**[٥] ومنها السلوك الأسري المادي، كما في قوله : **(إذا أنفق الرجل على أهله نفقة يحتسبها فهو له صدقة)**[٦].

وأما المنافع الأخروية – باعتبار آثارها– التي تتمثل في إزالة ما هو غير مرغوب فيه ودفع ما فيه أذى أو أضرر، فيظهر ذلك في جملة الأحاديث التي تضمنت مغفرة الذنوب **(إزالة غير مرغوب فيه)** في مقابل القيام بسلوكات سَويّة مختلفة، كالسلوك التعبّدي، حيث يقول الرسول ﷺ:**(من يقم ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدّم من ذنبه)**[٧]، وكالسلوك الإنساني مع الحيوانات،

---

(١) أحمد، المسند، ح رقم (٦٣٦٤)، والألباني، السلسلة الصحيحة، ح رقم:(٢٨٦٥).
(٢) البخاري، الصحيح، كتاب المزارعة، باب فضل الزرع، ح رقم (٢١٥٢).
(٣) المصدر السابق، كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، ح رقم (٩٧).
(٤) مسلم، الصحيح، كتاب المساجد، باب حديث جابر، ح رقم (٥٣٢٨).
(٥) مسلم، الصحيح، كتاب البر، باب فضل إزالة الأذى، ح رقم (٤٧٤٧).
(٦) البخاري، الصحيح، كتاب الإيمان، باب ما جاء إن الأعمال بالنية، ح رقم (٥٣).
(٧) المصدر السابق، كتاب الإيمان، باب قيام ليلة القدر، ح رقم (٣٤).

كما جاء في الرجل الذي سقى كلبا عطشا **(فشكر الله له فغفر له)**[١]، قال النووي: "معناه: قبل عمله، وأَثابه، وغفر له"[٢]، وكالسلوك الإنساني مع البيئة، كما في حديث الذي أزال غُصْنا – أو أذى من طريق المسلمين كان يؤذيهم فغفر الله له[٣].

وبعد عرض هذا القسم المخصص لتفريد المنفعة، يأتي عرض القسم المتممّ له كما سبق الإشارة إليه، والذي يتعلق برصد أنواع السلوك التي سلفت ضمن قوائم المنفعة وسياقاتها فقط؛ تناسقاً مع محددات الدراسة ومقدمة هذا الجزء منْها.

وبعد النظر فيما تقدّم، يمكن الوقوف على قائمة من أنواع السلوك التي جاءت مقيّدة بتحصيل منفعة ما مشروعة في السنة النبوية كما تمّ تحديدها وتوصيفها من الأحاديث متقدّمة الذكر مع الاستغناء عن إعادة إيرادها هنا، ودون الاستغراق في ذكر تفاصيلها ومفرداتها

– فهي ضمن النصوص– لأن موضوعها تبع للمنفعة وفرع عنها.

وقد شملت **قائمة السلوك – المنفعة**، الأنواع الآتية:

١– السلوك الإيماني.
٢– السلوك التعبّدي.
٣– السلوك الأخلاقي.
٤– السلوك الاقتصادي والمادّي.
٥– السلوك التربوي والتعليمي.
٦– السلوك الاجتماعي.
٧– السلوك الإنساني.
٨– السلوك الدعوي.
٩– السلوك البيئي.
١٠– السلوك الصحّي.
١١– السلوك الجنسي.
١٢– السلوك الوقائي.

---

(١) المصدر السابق، كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء، ح رقم (٢١٩٠).
(٢) النووي، شرح صحيح مسلم، ٤١٧/٧.
(٣) البخاري، الصحيح، كتاب الأذان، باب فضل التهجير، ح رقم (٦١٥).

والقصد من هذا الرصد لأنواع السلوك الكلية واستخراجها من الأحاديث النبوية ضمن السياقات التي وردت في مقابلتها للمنفعة، هو الوقوف على المجال الذي تراعيه السنة النبوية لجنس السلوك حينما تقرر منفعة ما مترتبةً عليه. وهو أمر يساعد على إعطاء صورة متكاملة لموقف السنة من علاقة المنفعة بالسلوك، وفي الإفادة منها في التطبيقات التربوية والتعليمية المختلفة.

المبحث الخامس
المضامين التربوية في طبيعة العلاقة بين المنفعة والسلوك

بعد العرض التحليلي السابق لموقف السنة النبوية من المنفعة المترتبة على السلوك الإنساني يمكن استجلاء أهم ما انطوت عليه من مضامين تربوية.

حظيت العملية التعليمية بمكوّناتها المختلفة بعناية خاصّة في منظور السنة النبوية من جهة ما قدمته من علاقة واضحة وقوّية بين المنفعة والسلوك العلمي عموماً، كما تمت الإشارة إلى طرفٍ من ذلك في التفصيل المتعلق بتقسيمات المنفعة وتفريدها، فمن ذلك: أن رتّبت السنة منافع إيمانية ومعنوية عالية يحصّلها العبد كالثناء من الله وملائكته لقاء السّلوك التعلّمي أو التعليمي، وهذا من شأنه أن يعزز قدَرَ "القَيِّمين" بالعملية التعليمية، من معلّمين ومتعلّمين، فيّحتَرم أهل العلم والمعرفة، وتعرَف لهم مكانتهم، ويثنى عليهم بما هم أهله، ويرحّب بهم، ويفسح لهم فُسحة كريمة لائقة في مرافق المجتمع؛ لِيجَوّدوا عملهم ويعرضوا صنعتهم.

والواقع التعليمي – اليوم – يشير إلى ضرورة التفعيل الثقافي المجتمعي لهذه القيمة الإسلامية التي كانت لا تغيب شَمسها عن مؤسسات التعليم ووعي المجتمع المسلم المتحضر، وذلك بأن يُصار إلى مزيد من التثقيف بمكانة السلوك العلمي والقائمين به وبمدَى ما يحصدونه من منافع عُلْوية راقية تحتّم على الإنْسان في الأرض أن يتطلع نحوها، ليقدّم مزيداً من الثناء والتكريم والحفاوة لهذه الثلّة من أهل العلم وطلبته في ميادينه المختلفة؛ لأنها من المؤشرات الأساسية في بدء الأمة المسلمة عملية استعادة قِواها الحضارية.

وهذه العناية من السنة النبوية بقيمة "تكريم السلوك العلمي – تعلّماً وتعليماً – بما ترتّبه عليه من منافع سامية، من شأنها أن تقود إلى ارتقاء المجتمع معرفيّاً، حيث يتحرك الفرد "الجاهل" باتجاه نزعة التغيير الإيجابي،

بأن يُقبل على ممارسة السلوك العلمي؛ رغبةً في تحصيل تلك المنافع، "فينبغي لمن استدلّ على استحسان الفضائل واستقباح الرذائل، أن ينفي عن نفسه رذائل الجهل بفضائل العلم"[١] فمن "تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن تعلم الفقه نبُل مقداره، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن تعلم الحساب جزل رأيه، ومن تعلم اللغة رقّ طبعه"[٢]، وبالمقابل يندفع أهل العلم إلى نشره وبذله للمتعلمين وللراغبين، إذْ من واجبهم "أن لا يبخلوا بتعليم ما يحسنون ولا يمتنعوا من إفادة ما يعلمون"[٣]، وكان خالد بن صفوان يقول:

"إني لأفرح بإفادتي المتعلّم، أكثر من فرحي باستفادتي من المعلّم"[٤]، ولم يكن شأنه هذا ليصير إليه لولا ما قدمته له السنة من منافع إيمانية لا تعدلها منافع أخرى، وفي ذلك يشير الماوردي بِقوله: " ثم له بالتعليم نفعان: أحدهما: ما يرجوه من ثواب الله ..."، وساق على ذلك الأدلة ثم قال:" والنفع الثاني: زيادة العلم وإتقان الحفظ"[٥].

وفي هذا دلالة بيّنة على قوّة المنافع الإيمانية والمعنوية التي جاءت في السنة النبوية، ومفعوليتها الظاهرة، كدافع أساس من دوافع التعلّم والتعليم، والتي تتبناها النظرية التربوية الإسلامية، فمن "المتفق عليه في الأوساط التربوية: أن المرء لا يتعلّم إلا إذا كانت لديه دافعية للتعلم"[٦]، فدراسة السلوك الإنساني تقتضي التعرّف إلى الدوافع التي تستثيره وتحديدها، لما لها من أهمية في كل من التعلّم والأداء والاحتفاظ بالتعلم[٧].

---

(١) الماروردي، علي، أدب الدنيا والدين، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ص٢٧.

(٢) المرجع السابق، ص٢٦.

(٣) المرجع السابق، ص٥٦.

(٤)) المرجع السابق نفسه.

(٥) المرجع السابق، ص٥٧.

(٦) عبد الله، عبد الرحمن صالح، المنهاج الدراسي: رؤية إسلامية، دار الياقوت، عمّان، ط٢، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، ص ١٢٠.

(٧) التل، شاديه، علم النفس التربوي في الإسلام، ص١٤٩.

وهذا التصوّر يقود إلى ضرورة أن تكون الأهداف القلْبية والوجْدانية والمعْنوية من بين الأهداف الأساسية التي يجب أن تتوخاها العملية التعليمية الإسلامية، وأن لا يلتفت إلى من يعرض عنها، "فقد روّج بعضُ التربويين بعضَ المفاهيم المغلوطة عن الأهداف القلبية، ملخّصُها أنها غير قابلة للتقويم"(١)، بل تشكل "الأهداف القلبية والوجدانية" التي تستدعيها المنافع الإيمانية والمعنوية "العمود الفقري للتربية الإسلامية، وبدونها يظلّ المنهاج بلا روحٍ وبلا فاعلية"(٢). وحتى يتسنّى تفعيل ذلك وتطبيقه في العملية التعليمية، فلا بدّ للقائمين على صياغة نظرية المنهاج التربوي الإسلامي من تبنّي خط الأهداف الإيمانية والقلبية والمعنوية، التي أفرد لأصولها الناشئة عنها قائمة عريضة من المنافع التي رتبتها السنة النبوية على السلوك الإنساني. وأن يكون ما يمكن أ يصطلح عليه "الأساس النفعي الإيماني" معتبراً ضمن أسس اختيار المحتوى التعليمي شريطة أن يكون متكاملا معها متوافقاً مع معطياتها بحسب المعايير الإسلامية.

ومن المضامين التربوية التي تنطوي عليها نظرة السنة النبوية إلى المنافع المترتبة على السلوك ذات الصلة بالعملية التعليمية: تلك المتعلقة بأساليب التدريس وأنشطتها، حيث تفيد قائمة المنافع الشمولية ضرورة أن يُقيم المدرس قاعدة طرائقه في التدريس وأساليبه على التحلّي بحسن الخلق؛ سعياً إلى تحصيل منفعة محبة الله تعالى التي رتبتها على ذلك السنة النبوية، وهذا من شأنه أن يجعله "رفيقاً بطلبته، وأن يترحّب بهم إذا لقيهم، وعند إقبالهم عليه، ويكرمهم إذا جلسوا إليه"(٣). وذلك "أن التعليم يجب أن يكون بالرفق واللين وعدم التسلّط وإظهار القوّة"(٤).

---

(١) عبد الله، عبد الرحمن صالح، الأهداف السلوكية في التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ص١٥.

(٢) المرجع السابق.

(٣) ابن جماعة، تذكرة السامع، مكتبة رمادي، السعودية (دط)، ص١٠٧.

(٤) جان، محمد صالح، الثواب والعقاب في التربية والتعليم بين الأصالة والمعاصرة، جامعة أم القرى، مكة، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، ص٢٩.

كما تفيد قائمة المنافع كذلك، بأن ينوّع المدرّس من الحوافز والمكافآت التي يستخدمها في عملية التدريس وأنشطتها المختلفة، بحيث تمتد لتشمل المعنوية منها والمادية وما في سُلّمها من درجات متفاوتة، كالمكافآت المادية العينية والهدايا الرمزية،فيقدم "المعلّم أو المعلّمة للتلاميذ الممتازين هدايا عينية رمزية مثل الحلوى أو بعض الأدوات المدرسية أو الكتب المفيدة"(١)، وكالمدح والثناء والتشجيع بالكلمة الطيبة، وقد "اعتبر التربويون المسلمون الأوائل المدح والثناء الأسلوب الأمثل والحافز والأقوى للتعلم، ولذلك طالبوا المعلّم بالمبادرة به قبل غيره"(٢)، وكالدعاء فمن المحفزات الفعّالة في عملية التعليم في التربية الإسلامية، "الدعاء للطالب بالتوفيق، كأن يقول المعلم للطالب الذي أجاب إجابة رائعة: أسأل الله لك التوفيق، أو فتح الله عليك، أو زادك الله علما..."(٣).

ومما لا شك فيه أن للمحفزات (**المنافع**) أثرها الفعّال في العملية التعليمية فهي تعمل على "تجديد نشاط الطلبة ودفعهم وتحفيزهم ورفع روحهم المعنوية نحو مزيد من التعلّم والتفوق والإبداع"(٤)؛ "فالسلوك الذي يكون متبوعاً بالمكافأة: أي السلوك الذي تتمّ إثابته، يقوى ويتدعم، ويكون أكثر ميلاً للتكرار مستقبلاً"(٥).

وهذا التنوع في المنافع أو الحوافز: المراعاة في السنة، تتيح للمدرّس أن يختار منها ما يراه مناسباً وحال المتعلم وطبيعة شخصيته، أي: **مراعاة مبدأ الفروق الفردية** في ذلك، وهو ما قرّره البحث – أيضاً – كأحد محددات المنفعة في السنة النبوية، "فإذا أردنا أن يزداد السّلوك في تواتره وشدّته أو حجمه فإننا في حاجة إلى أن نعززه، مما يترتب علينا اختيار الأشياء التي يقدرها الأفراد إيجابياً كمعززات. فالرياضي مثلاً يفضل العضوية في نادي رياضي،

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٥.

(٢) النمر، عمر، الثواب والعقاب في التربية، البيان، لندن، العدد ١٣٧، ١٤٢٠هـ–١٩٩٩م، ص٢٢.

(٣) جان، محمد صالح، الثواب والعقاب في التربية والتعليم، ص٣٧.

(٤) المرجع السابق، ص ٣٦.

(٥) التل، شاديه، علم النفس التربوي في الإسلام، ص١٤٩، وينظر: صالح، قاسم، نظريات معاصرة في علم النفس، ص١٥٦، وملحم، سيكلوجية التعلّم والتعليم، ص١٨٠.

والعالم يفضل الكتب .... تذكرّ هذه الفكرة عندما تحاول العثور على معززات لتلميذ معين، فقد تفيد مسحة رأس طفل يحتاج إلى التقبل كمعزز، وربما لا يكون هذا السلوك معززاً عند طفل آخر"[١]. ومن هنا يُدرك الباحث في موقف السنة من المنفعة المترتبة على السلوك الإنساني ذلك التعدد فيها والتنوع في العوامل (**المحددات**) المؤثرة فيها.

وتقدّم القراءة المتعمّقة لعلاقة المنفعة بالسلوك في السنة النبوية وتحديداً "**العلاقة الزمنية**" تصوّراً واضحاً لشكل العلاقة الزمنية بين المحفزّات والسلوك التعليمي، يقع في نمطين:

النمط الأول – منها – يمكن أن يطلق عليه "**العلاقة التعاقبية**" – وهو مأخوذ من استحباب إعطاء الأجير أجره عقب عمله مباشرة، أي أن يعقب المحفز حدوث السلوك "فالقيمة الثوابية للمكافأة، في النفس، تكون أكبر إذا ما تمّ الحصول على المكافأة عقب حدوث السلوك مباشرة"[٢].

وأما شكل النمط الثاني فيظهر فيما يمكن أن يطلق عليه "**العلاقة المستقبلية**"، وهو مما لا تحفل به التربية الحديثة كثيراً، إلا إنّه له اعتبار وشأن في التربية الإسلامية، أخذاً من مقررات العلاقة بين المنفعة والسلوك وتقسيمات المنفعة في السنة النبوية التي أشارت إلى المنافع الآجلة والمنافع الأخروية كما تقدّم ذلك؛ لذا "من الممكن أن يحفز الإنسان لتقبل سلوك متوقع إذا قدم له على أنه يحقق له منفعة أو مكافأة، مثل: أن يحاول المدرسون حفز تلاميذهم الكارهين لتعلّم مقرر تعليمي، على الأداء التعليمي، وذلك بإبلاغهم أنّ الدّرس الذي يجدونه صعباً أو مملاً اليوم، سيكون مفيداً لهم يوماً ما في حياتهم المستقبلية"[٣]، بل وتذهب معطيات النظرية التربوية الإسلامية إلى أبعد من

---

(١) أبو جادو، صالح محمد، علم النفس التربوي، دار المسيرة، عمّان، ط٢، ١٤٢١هـ–٢٠٠٠م، ص١٧٩.

(٢) التل، شادية، علم النفس التربوي في الإسلام، ص٢٣٧.

(٣) حيدر، فؤاد، الشخصية في الإسلام والفكر الغربي، دار الفكر، بيروت، ط١،١٩٩٧م، ص٦٤.

ذلك حينما تدفع بجوانب العملية التعليمية إلى مزيد من الإتقان والارتقاء؛ اعتماداً على ما ينتظر القائمين بها من حوافز ومنافع أخروية جنباً إلى ما ينالونه من مكافآت دنيوية عاجلة.

إن تفحّص المنافع التي قررتها السنّة النبوية إزاء السّلوك كما تقدم عرضها في صلب الدراسة، لتؤكد **اتساقها مع الطبيعة الإنسانية "الواقعية"** كما هي في التصور الإسلامي، فمكوناتها الأساسية هي الجسم والروح، وبتفاعلهما لا بمجموعهما المجّرد تظهر الشخصية الإنسانية وتتحدد معالمها في النظرية التربوية الإسلامية، لتشمل كافة الجوانب الإنسانية: النفسية والروحية والعقلية والجسمية وغيرها، كما جاءت السنة النبوية بقائمة منافعية تغطّي هذه الجوانب جميعاً، في إشارة واضحة إلى تناسق التصور الإسلامي، وهذا التوحّد في طبيعة المنافع وطبيعة النفس الإنسانية هو الذي يفسّر لنا القصور أو الانحياز أوالتشابه والاختلاف الذي قد يظهر للباحث في دراسته لموقف النظريات التربوية الوضعية والسماوية الأخرى وأفكارها التي تعتنقها إزاء كلٍّ من طبيعة المنفعة وعلاقتها بالسّلوك الإنساني.

وهذا الانسجام بين خريطة المنافع في السنة النبوية والطبيعة الإنسانية، هو الذي تتكئ عليه النظرية التربوية الإسلامية في رسم أهدافٍ تربوية شمولية متجاوبة لأقصى حدٍّ ممكن مع مكونات الذات الإنسانية وتفاعلاتها وغايات الرسالة الإسلامية. فانطلاقاً من "مبدأ أن الطبيعة الإنسانية متكاملة وشاملة تحتوي على جميع جوانب الإنسان من عقل وجسم وروح ونفس وقلب، نجد أن الأهداف التربوية في المدرسة الإسلامية – أيضاً – شاملة تهدف إلى نمو كامل وشامل لهذه المجالات، إضافة إلى وجود أهدافٍ دنيوية وأهداف أخروية، انطلاقاً من مبدأ ضرورة التكامل ما بين متطلبات الحياة الدنيا والآخرة"[(١)]. في حين

(١) لبابنه، أحمد حسن، مفهوم المدارس الفلسفية للطبيعة الإنسانية وانعكاساتها على العلمية التربوية، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة اليرموك، اربد، ٢٠٠٢م، ص١١٧.

أنّ "التربية الحديثة (**الغربية**) رغم تفوقها على المفاهيم التربوية غير الإسلامية في فهم طبيعة الإنسان إلا أنها لا تزال قاصرة في فهمها، حيث أهملت الجانب الروحي في الإنسان، وتجاهلها للروح هو سبب فشلها في تحقيق السعادة للإنسان"[(١)].

ومن جانب آخر فإن خريطة المنافع التي قررتها السنة النبوية مقابل السلوك، تؤكد على أنها **تلبّي الحاجات الإنسانية** التي تنبثق أصلا من الطبيعة الإنسانية في تصوّرها السليم، فهناك منافع معنوية ظاهرة وباطنة تلبي الحاجات النفسية، ومنافع مادية مختلفة تلبي الحاجات الفسيولوجية، ومنافع اجتماعية تلبي الحاجات الذاتية والاجتماعية، ومنافع علمية تلبي حاجات التعلّم، والأهم من ذلك: أن هناك منافع أخروية وآجلة تلبي الحاجات الفطرية والدينية، وهذه التي تظهر الفارق الأساس والمهم بين سلّم الحاجات في النظرية التربوية الإسلامية وسلّم الحاجات عند ماسلو[(٢)] حيث خلا منها كلياً فضلاً عن أن يجعله تحيّل المرتبة الأساس.

وهذه العلاقة بين المنافع وسلّم الحاجات الإنسانية تتطلب من **مصمّمي المنهاج التربوي** الإسلامي أن يكونوا على وعي في المدخلات الأساس لمكوّنات المنهاج؛ بحيث تضمّ التنوع اللّازم في المنافع المشروعة ومطالبها، لاسيّما تلك المتعلقة بالجانب الإيماني أو العقدي لتأتي ملبيّة لحاجات النفس الإنسانية بما يتوافق مع معطيات الرسالة الإسلامية وغاياتها.

وكذلك الأمر في حالة صياغة علماء النفس والسلوك في المدرسة التربوية الإسلامية **للمعززات** تمهيداً لتطبيقها في العملية التربوية فلا يجوز الاقتصار

---

(١) خياط، محمد جميل، النظرية التربوية في الإسلام: دراسة تحليلية، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م (د.ط)، ص٧١، وينظر: الحاج، أحمد علي، في فلسفة التربية: نظرياً وتطبيقياً، دار المناهج، عمان، ط٢، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م، ص١٠٥.

(٢) تقوم نظرية ماسلو على تحقيق الحاجات الخمس: الحاجة المادية، وحاجة الأمن، والحاجات الاجتماعية، وحاجات احترام الذات، وحاجات تحقيق الذات. ينظر: صالح، قاسم، نظريات معاصرة في علم النفس، ص ١٠٩- ١١٤.

على القائمة الأرضية – مهما تنوعت – مغفلة القائمة الأخروية، وإلا وقعت في حالة التصور التي تعاني منها مدارس علم النفس الوضعية (**الغربية**) – والمتأثرين بها من روّاد علم النفس في الفكر العربي – تلك التي تصادر المعززات الأخروية أو الآجلة التي تشكل العمود الفقري في العملية التربوية الإسلامية.

فعلى سبيل المثال "يرى سولزر ورفاقه، أن هناك خمسة أشكال من المعززات هي: المعززات الغذائية.... المعززات الماديّة.... المعززات الرمزيّة.... المعززات الاجتماعية"[(١)] فهي تخلو من المعززات التي تتعلق بالجانب الإيماني والأخروي. بينما في تراثنا التربوي الإسلامي – وفي ظلال حضارتنا العلمية والفكرية الإسلامية – لا يمكن أن نجد تفسيراً واقعياً لتلك الجهود الجبّارة المتعلقة بكافة جوانب العملية التربوية والتعليمية إلا باستدعاء تلك المعززات الأخروية التي شكلت ذراعاً ضارباً في منظومة الدافعية الإسلامية للتعلم والتعليم والكتابة والتأليف، وهذا يعني من وجه آخر أن خريطة المنافع في منظور السنة النبوية قد وسّعت من مجال الدوافع والمعززات وجعلته أكثر شمولية وواقعية عمّا كانت عليه الحضارات الإنسانية في الماضي، وما آلت إليه الحضارات الماديّة اليوم.

---

(١) الزغول، عماد، نظريات التعلّم، ص٢٠٢.

الخاتمة (النتائج والتوصيات)

وفي خاتمة الدراسة، يشير الباحث إلى أهم النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج:

أهم النتائج التي خرجت بها هذه الدراسة: هي النتائج الآتية:

- ورد لفظ "المنفعة" وباشتقاقاته المختلفة في السنة النبوية الصحيحة بدلالة شمولية على جميع المصالح واللّذات المادية والمعنوية والعاجلة والآجلة.
- جاء لفظ السلوك اصطلاحاً، مقابلاً للفظ "العمل" في السنة النبوية الصحيحة وبدلالة شمولية على جميع الاستجابات الظاهرة والباطنة التي تصدر عن الإنسان.
- اشتملت السنة النبوية على أطر المنفعة ومقرراتها، من حيث التأصيل الشرعي لمطلب المنفعة، والتنوع في استخدام الصيغ التعبيرية عنها وتحديد أوجه تقسيماتها إلى منفعة عاجلة وآجلة وظاهرة وباطنة وايجابية وسلبية.
- حددت السنة النبوية مصادر المنفعة بالمصدر الرباني وبالمصدر البشري والكوني، وأكدت ارتباط المنفعة الوثيق بالقيم الإسلامية.
- تضمنت السنة النبوية محددات المنفعة التي شملت: صحّة المعتقد، والسّلوك السّوي المقبول، واتقان السلوك، والفروق الفردية، والبيئة، والفضل الرباني.
- أكدّت السنة النبوية على العلاقة الواضحة بين المنفعة والسلوك والتي ظهرت جوانبها في تأثر المنفعة بالأداء السلوكي ومستوياته ونوعه وكمّه.
- بينت السنة النبوية أثر المنفعة في تعديل السلوك الإنساني وإشاعته.
- أظهرت السنّة النبوية رؤيتها المتكاملة لأنواع المنافع مقابل أنواع السلوك وذلك من خلال تفريدهما.
- أظهر تفريد المنفعة مقابل تفريد السلوك رؤية السنة النبوية التكاملية لطبيعة المنفعة وعلاقتها بجنس السلوك.

- قدّمت المضامين التربوية ذات الصلة بالعملية التعليمية توعيةً لضرورة تطوير دليل المعلم والمنهاج التعليمي لِتقوى إمكاناته التطبيقية في استخدام الثواب والمنافع المقررة في السنة النبوية في العملية التدريسية.
- أظهرت القراءة المعمقة لدلالات التربوية والفكرية المتضمنة في رؤية السنة النبوية للمنفعة وعلاقتها بالسلوك الإنساني، معطياتها الأصيلة في هذا الجانب، وتمايزها الواضح فيه، مقارنةً بمعطيات الفكر الغربي المادّي.

ثانياً: التوصيات:

أهم التوصيات التي خرجت بها هذه الدراسة ما يلي:

- الحاجة إلى القراءات المعمقة لنصوص السنة النبوية المتصلة بالعلوم التربوية في سبيل تقديم معالجات علمية للمفاهيم الأساسية التي تقود إلى رؤية واضحة للنظرية التربوية وإمكاناتها التطبيقية، وعليه يرجو الباحث من المختصين في مجال العلوم الشرعية والتربوية بذل مزيد من الجهد البحثي في سبيل الارتقاء بالتربية الإسلامية وعلومها وتطبيقاتها.
- الدعوة إلى إجراء عدد من الدراسات الميدانية ذات الصلة بموضوع "المنفعة والسلوك"، ويقترح الباحث منها، الآتي:
  - مدى استخدام معلمي المدارس للمنافع الإيمانية والمعنوية في تعزيز العملية التدريسية.
  - موقف المناهج التعليمية من مراعاة محدّدات المنفعة الواردة في السنة.
  - أثر التعزيز بالمنافع الآجلة (**الأخروية**) في تعديل السلوك الطلابي في الجامعات.
  - موقف التربية الإسلامية من تعارض المنافع المادية والإيمانية وآثارها التربوية.

المصادر والمراجع

- ابن جماعة، أبو إسحاق إبراهيم، تذكرة السامع، مكتبة رمادي، السعودية (د.ط).
- ابن حجر العسقلاني، أحمد، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق ابن باز، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٣٥م.
- ابن رجب، عبد الرحمن، جامع العلوم والحكم، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م (د.ط).
- ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، دار سحْنون، تونس (د.ط).
- ابن فارس، أحمد، معجم المقاييس اللّغوية، تحقيق: شهاب الدين أبو عَمْرو، دار الفكر، بيروت، ط١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
- ابن كثير، إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، دار الخير، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- ابن ماجه، السنن، جمعية المكنز الإسلامي (دط).
- ابن منظور، محمد، لسان العرب، تحقيق: عامر أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت(د.ط).
- أبو جادو، صالح محمد، علم النفس التربوي، دار المسيرة، عمّان، ط٢، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- أبو داود، سليمان، السنن، دار الفكر (دط).
- أحمد، المسند، دار الحديث، القاهرة، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- الألباني، محمد ناصر الدين، السلسلة الصحيحة، ترتيب:مشهور حسن،مكتبة المعارف، الرياض، ط١،١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م.
- الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الترغيب والترهيب، مكتبة المعارف، الرياض، ط٣،١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

- البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، دار ابن كثير، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- بيلي، برسيفال، نقد نظرية التحليل النفسي، ترجمة: محمد هلال، دار المناهج، عمان، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- الترمذي، محمد بن عيسى، السنن، دار إحياء التراث العربي، بيروت(**د.ط**) - التل، شادية، علم النفس التربوي في الإسلام، دار النفائس، عمان، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.
- الحاج، أحمد علي، في فلسفة التربية: نظريا وًتطبيقيا، دارالمناهج، عمان،ط٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
- حيدر، فؤاد، الشخصية في الإسلام والفكر الغربي، دار الفكر الغربي، بيروت، ط١،١٤١٠هـ-١٩٩٧م.
- الخطيب، جمال، تعديل السلوك الإنساني، مكتبة الفلاح، الكويت ط١،١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
- خوجلي، هشام عثمان، نظريات النمو الإنساني: دراسة نقدية من منظور إسلامي، الدار السعودية، جدّة، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- خياط، محمد جميل، النظرية التربوية في الإسلام: دراسة تحليلية، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م (**د.ط**).
- الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان، دار القلم، دمشق، ط ٣، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
- الزغول، عماد، نظريات التعلّم، دار الشروق، عمّان، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م .
- سليمان، حسين حسن، السلوك الإنساني والبيئة الاجتماعية، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م.
- السيد، عزمي طه، الفلسفة: مدخل حديث، دار المناهج، عمّان، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

- الشيباني، عمر التومي، علم النفس التربوي، جامعة الفاتح، ليبيا، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
- الشيباني، عمر التومي، تطوّر النظريات والأفكار التربوية، دار الثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٧٥م.
- صالح، قاسم حسين، نظريات معاصرة في علم النفس، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- الصنعاني، محمد، سبل السلام، دار الفكر، (**دط**).
- الطبراني، المعجم الأوسط، دار الحرمين، القاهرة.
- عبد الباقي، محمد فؤاد،المعجم المفهرس لألفاظ القرآن،دار الحديث، القاهرة،١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- عبد الله، عبد الرحمن صالح، الأهداف السلوكية في التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- عبد الله، عبد الرحمن صالح، المنهاج الدراسي: رؤية إسلامية، دار الياقوت، عمّان، ط٢، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
- علي، علي أحمد، أساسيات سلوك الإنسان، مكتبة عين شمس، القاهرة (**د.ط**).
- القرطبي، محمد، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.
- المارودي، علي، أدب الدنيا والدين، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار الدعوة، استانبول(**د.ط**).
- مسلم بن الحجاج، الصحيح، دار إحياء التراث العربي(**د.ط**).
- النووي، شرح صحيح مسلم، تحقيق: خليل مأمون، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

- الهنداوي، علي فالح، والزغول، عماد، مبادئ في علم النفس، مكتبة الفلاح، الكويت، ط١، ١٤٢٣- ٢٠٠٢م.

الرسائل العلميّة:

- الشريفين، عماد، تعديل السلوك الإنساني في التربية الإسلامية، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، اربد، ١٤٢٢١هـ-٢٠٠٢م.
- لبابنه، أحمد حسن، مفهوم المدارس الفلسفية للطبيعة الإنسانية وانعكاساتها على العلمية التربوية، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة اليرموك، إربد، ٢٠٠٢م.

المجلّات:

- جان، محمد صالح، الثواب والعقاب في التربية والتعليم بين الأصالة والمعاصرة، جامعة أم القرى، مجلة البحوث العلمية، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- العطاس، عبد الله بن أحمد، مفهوم السلوك الخُلقي، جامعة أم القرى، مجلة البحوث العلمية، مكة، طـ١، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م.
- النمر، عمر، الثواب والعقاب في التربية، البيان، لندن، العدد ١٣٧، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.